تأريخ النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام (١)

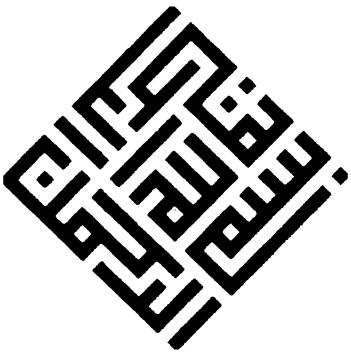
للصف الأوّل المتوسط

علي بمان ملك أحمدي

تعريب
محمد الصالحي

مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للدراسات والأبحاث

مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر



معاونيه التحقيق

سرشناسه: ملک‌احمدی، علی‌بمان، ۱۳۳۱ - Malek Ahmadi, Ali B.
عنوان قراردادی: تاریخ پیامبر و اهل‌بیت علیهم‌السلام سال اول دوره راهنمایی .عربی
عنوان و نام پدیدآور: تاریخ‌النبی صلی‌الله‌علیه‌وآله واهل‌بیته علیهم‌السلام للصف الأول‌المتوسط/ مؤلف علی‌بمان ملک‌احمدی؛ مترجم محمد صالحی.
مشخصات نشر: قم : مرکز المصطفی صلی‌الله‌علیه‌وآله العالمي للترجمة والنشر، ۱۴۳۸ ق.= ۱۳۹۶.
مرجع تولید: معاونت پژوهش.
مشخصات ظاهری: ۱۲۸ ص.
شابک: ۹۷۸-۶۰۰-۴۲۹-۲۲۱-۴
وضعیت فهرست نویسی: فیپا
یادداشت: عربی؛ کتابنامه به صورت زیرنویس.
یادداشت: چاپ دوم: ۱۳۹۸ (فیپا).
موضوع: ائمه اثناعشر -- سرگذشتنامه؛ *Imams (Shiites) -- Biography*
موضوع: ائمه اثناعشر-- پرسش‌ها و پاسخ‌ها
موضوع: *Imams (Shittes)-- Questions and answers*
شناسه افزوده: صالحی، محمد، ۱۳۴۷ -، [مترجم]
شناسه افزوده: جامعة المصطفی صلی‌الله‌علیه‌وآله العالمیة. مرکز بین‌المللی ترجمه و نشر المصطفی صلی‌الله‌علیه‌وآله
شناسه افزوده: *Almustafa International UniversityAlmustafa International Translation and Publication center*
رده بندی کنگره: ۱۳۹۶ ۲۰۴۳ت۷۵م/۵/BP۳۶
رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵
شماره کتابشناسی ملی: ۴۸۳۴۳۱۹

حقوق الطبع محفوظة للناشر.

تأريخ النبيّ صلی‌الله‌علیه‌وآله وأهل بيته علیهم‌السلام (للصف الأوّل المتوسط)

تأليف: علي‌بمان ملك أحمدي

تعريب: محمد صالحي

الطبعة الثانية: ١٤٤٠ق / ١٣٩٨ش

الناشر: مركز المصطفى صلی‌الله‌علیه‌وآله العالمي للترجمة والنشر

المطبعة: نارنجستان ● **السعر:** ٢٣٠٠٠٠ ريال ● **الكمية:** ٥٠٠

مراكز التوزيع

➢ إيران؛ قم، مفترق الشهداء، شارع معلم الغربي (شارع الحجّتية)، زقاق ١٨.
هاتف: ٣٧٨٣٦١٣٤ ٢٥ ٩٨+ فاكس:(الرقم الداخلي١٠٥)/٣٧٨٣٩٣٠٥ ٢٥ ٩٨+
➢ إيران؛ قم، شارع محمّد الأمين، تقاطع سالاريّة. هاتف: ٣٢١٣٣١٠٦ ٢٥ ٩٨+

@pub_almostafa http://buy-pub.miu.ac.ir

■ مدير مركز النشر: السيّد أباذر الهاشمي هريكندئي ■ مصمم الغلاف: مسعود مهدوي
■ مدير الإنتاج: جعفر قاسمي ابهري ■ المشرف على الطباعة: نعمت‌الله يزداني
■ المشرف الفني: محمدباقر شُكري

تأريخ النبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام

للصف الأوّل المتوسط

علي بمان ملك أحمدي

تعريب
محمد صالحي

شبكة الفكر
alfeker.net

مركز المصطفى ﷺ العالمي
للترجمة والنشر

كلمة الناشر

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة بقيادة الإمام الخميني قدس سره، انبثقت ثورة علمية وثقافية كبرى، وتصاعدت حركة أسلمة العلوم، وتركيز القيم الدينية والروحية والإنسانية في ظلّ المتغيّرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمجتمع، وانتشار شبهات العولمة والفكر الإلحادي، وحتى التكفيري المتطرّف، بخاصّة بعد ثورة الاتصالات الكبرى التي هيّأت للعالم فرصاً فريدة للاطلاع الواسع بما يحيط به.

ومن هنا دعت الحاجة إلى وضع مناهج للبحث والتحقيق، واستخلاص النتائج الصحيحة في كلّ علمٍ من علوم الشريعة: في التوحيد، والفقه، والأُصول، والفلسفة، والكلام، والحديث، والرجال، والتاريخ، والأخلاق والنفس، والاجتماع، وغيرها؛ لتوقّف سعادة الإنسان عليها في الدنيا والآخرة؛ ولتحقيق الغرض العبادي الذي خُلق الإنسان من أجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

فقامت في الحوزة العلمية حركة فكرية كبرى بتوجيه من قائد الجمهورية الإسلامية الإمام الخامنئي (دام ظلّه) وجهود الفقهاء والعلماء والمفكّرين، والعمل الجاد وبذل غاية الوسع، من أجل بناء صرح علمي ديني رصين، وصياغة مناهج جديدة تُعنى بعلوم الشريعة، وعموم حقول المعرفة الإسلامية والإنسانية.

وأخذت جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية على عاتقها، المساهمة الفعّالة في صياغة المناهج الدراسية، التي تنسجم مع تطوّر الحركة العلمية والثقافية الحديثة.

فأسست «مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر»، لينهض بنشر هذه الآثار العلمية وتقديمها لطلاب العلم وروّاد المعرفة.

مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي
للترجمة والنشر

الفهرس

١. الزواج المبارك ٩
قصة نذر عبد المطلب ٩
اقتراح عاتكة ١٠
الزواج المبارك ١١
الأسئلة ١٢
٢. مولد النبيّ صلى الله عليه وآله والحوادث العجيبة ١٣
الحوادث العجيبة ١٤
الأسئلة ١٦
٣. رضاعة النبيّ صلى الله عليه وآله في بني سعد ١٧
قصة لطيفة من طفولة النبيّ صلى الله عليه وآله ١٨
الأسئلة ٢٠
٤. النبي صلى الله عليه وآله يعيش ألم فراق الأمّ ٢١
حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله وإكرامه لأمهاته من الرضاعة: ٢٢
حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله لأخته من الرضاعة ٢٣
الأسئلة ٢٤
٥. النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله في كفالة عبد المُطّلب ٢٥
محمّد صلى الله عليه وآله في كفالة أبي طالب: ٢٦
الأسئلة ٢٧

٦. غضب أبي لهب ٢٩
محمّد صلى الله عليه وآله في بيت أبي طالب ٣٠
الأسئلة ٣٢

٧. مع محمّد صلى الله عليه وآله في الرحلة التجارية إلى الشام ٣٣
محمّد صلى الله عليه وآله في صومعة بُحَيرى ٣٤
الأسئلة ٣٦

٨. محمّد صلى الله عليه وآله يرعى الغنم في مكة ٣٧
محمّد الأمين صلى الله عليه وآله ٣٧
حِلفُ الفُضُول ٣٨
الأسئلة ٤٠

٩. زواج النبيّ صلى الله عليه وآله من السيدة خديجة عليها السلام ٤١
السيّدة خديجة عليها السلام المرأة الوفية ٤٢

١٠. أولاد النبيّ صلى الله عليه وآله ٤٥
النبيّ صلى الله عليه وآله يثني على السيّدة خديجة عليها السلام ٤٥
النبيّ صلى الله عليه وآله يحارب الخرافة ٤٦
الأسئلة ٤٧

١١. الطفل زيد بن حارثة وارتباطه بالنبي صلى الله عليه وآله ٤٩
الأسئلة ٥١

١٢. هدم الكعبة وإعادة بنائها ٥٣
محمّد الأمين صلى الله عليه وآله ٥٣
الأسئلة ٥٥

١٣. العصر الجاهلي (١) ٥٧
الأسئلة ٦٠

١٤. العصر الجاهلي (٢) ٦١
خرافات العصر الجاهلي ٦١
الأسئلة ٦٤

١٥. تعبّد النبي صلى الله عليه وآله في غار حِراء ٦٥
نزول الوحي على النبيّ صلى الله عليه وآله في غار حراء ٦٦
الأسئلة ٦٧

١٦. آيات عظمة النبوّة ٦٩
الدعوة إلى الله ٦٩
البشارة في التوراة والإنجيل ٧٠
الأسئلة ٧١

١٧. الدعوة السرّية ٧٣
وصية أبي طالب عليه السلام ٧٤
الصلاة العلنية ٧٤
الأسئلة ٧٦

١٨. إسلام أبي ذر الغفاري ٧٧
أبو ذر يعلن إسلامه ٧٨
الأسئلة ٧٩

١٩. النبيّ صلى الله عليه وآله في بيت الأرقم ٨١
الدعوة العلنية ٨٢
الأسئلة ٨٣

٢٠. المضطهدون ٨٥
زعماء قريش يفاوضون أبا طالب عليه السلام ٨٦
الأسئلة ٨٧

٢١. دعوة عشيرته الأقربين إلى الإسلام ٨٩
النبيّ صلى الله عليه وآله يدعو عشيرته مرّة أخرى ٩٠
الأسئلة ٩٢

٢٢. اشتداد المواجهة، والمدافعون عن النبيّ صلى الله عليه وآله ٩٣
الأسئلة ٩٦

٢٣. تعذيب الضعفاء من المسلمين ٩٧
ياسر وسميّة ٩٧

خَبّاب بن الأرت ٩٨
الأسئلة ١٠٠

٢٤. الهجرة إلى الحبشة (القسم الأوّل) ١٠١
وفد قريش لإرجاع المسلمين من الحبشة ١٠٢
الأسئلة ١٠٤

٢٥. الهجرة إلى الحبشة (القسم الثاني) ١٠٥
الأسئلة ١٠٧

٢٦. حصار المسلمين في شعب أبي طالب عليه السلام ١٠٩
نقض صحيفة المقاطعة ١١٠
الأسئلة ١١٢

٢٧. عام الحزن ١١٣
خروج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الطائف ١١٤
الأسئلة ١١٦

٢٨. المدينة تبحث عن المصلح ١١٧
إسلام الوفد ١١٨
الأسئلة ١٢٠

٢٩. بيعة العقبة الأولى ١٢١
من هو مصعب بن عمير؟ ١٢١
الأسئلة ١٢٤

٣٠. بيعة العقبة الثانية ١٢٥
الدفاع الباسل ١٢٦
الأسئلة ١٢٨

١

الزواج المبارك

ما ان بلغ عمر والد النبيّ الأكرمﷺ عبد الله بن عبد المطلب الخامسة والعشرين حتى قرر الاقتران بامرأة تتوفر على صفات النجابة والعفة والطهر والكمال، ففي الوقت الذي كانت الكثير من العوائل والأسر المكية المعروفة تتمنى مصاهرته وتزوجيه من بناتها؛ لِما توفّر عليه من صفات نبيلة وخلق رفيع، إلا أنّه قرر أن لا يتزوج إلا من أكرم النساء حسباً ونسباً وأفضلهن أخلاقا وأرفعهن كمالاً. ولمّا علم والده عبدالمطلب برغبته في الزواج سُرَّ بذلك سروراً كبيراً، وبذل قصارى جهده لتلبية رغبة ولده العزيز وليتم ذلك الزواج المبارك، اختار له آمنة بنت وَهب بن عبد مَنَاف بن زُهرة سيد بني زهرة سنّاً وشرفاً.

وكانت آمنة من خيرة النساء أدباً وشرفاً وعفّة ونقاء سريرة وإيماناً وتقوى، وكانت تعدُّ أفضلَ نساءِ زمانها، ومن خيرةِ بناتِ عشيرتِها، ولهذا كثر الخاطبون لها والطالبون يدها للاقتران بها، إلا أنّ والدها وَهب بن عبد مَنَاف بن زُهرة رفض تزويج ابنته من هؤلاء، وكان يأمل بأنْ يختار اللهُ تعالى لآمنة زوجا يليق بها، حتى حان ذلك اليوم الذي التقى فيه وهبٌ ـ وهو في رحلة الصيد ـ بعبدِ الله بن عبد المطلب، وما أن وقع بصره عليه حتى تداعت إلى ذهنه قصّة نذر عبد المطلب، فرغب في أنْ يكون ذلك الشاب المؤدب زوجاً لابنته آمنة.

قصة نذر عبد المطلب

حينما كان عبد المطلب يقوم بحفر بئر زمزم شعر بالتعب، فنذر إنْ رزقه الله تعالى عشرة بنين أن يقدّم أحدهم قرباناً للكعبة. وبعد مرور الأيام والسنين بلغ عدد أبنائه عشرة، آخرهم

عبد الله والد النبيّ صلى الله عليه وآله، فصار لزاماً عليه الوفاء بالنذر، فجمع أبناءه في المسجد الحرام واخبرهم بنذره، وشاورهم في الأمر، وبعد إن نال رضاهم وموافقتهم قرر اختيار أحدهم للذبح عن طريق القرعة.

وتمّت عملية القرعة ثلاث مرّات وفي المرّات الثلاث كانت القرعة تصيب اسم الولد الأصغر (عبد الله) فأخذ عبد المطلب بيد ابنه، وتوجّه من فوره إلى حيث المكان الذي يذبحه فيه.

ولمّا علمت قريش رجالُها ونساؤها بقصّة النذر المذكور وما آلت إليه عملية القرعة حزنَ الناسُ كافة وخاصة الشباب منهم لذلك حزناً شديداً، وبكوا وضجوا بالنحيب والصراخ على ذلك الصبي الوسيم،[١] فجاء شقيقه[٢] أبو طالب باكيا وأمسك بيد أبيه متضرعا إليه بأن يذبحه مكان أخيه عبد الله، فيما كانت أمّ عبد الله تراقب الموقف مذهولة تذرف[٣] دموعها الساخنة على وجنتيها، لا تدري ماذا يحلُّ بولدها وفلذة كبدها وما هو مصير هذا الشاب الذي طالما سهرت الليالي في تربيته.

اقتراح عاتكة

في تلك اللحظات المحزنة والموقف العصيب قال بعض القرشيين: لماذا لا يفدي عبد المطلب ولده بمجموعة من الإبل تذبح وفاء بالنذر!!

فلمّا سمعت عاتكة أخت كلٍ من أبي طالب وعبد الله بذلك المقترح سارعت إلى أبيها تخبره بما اقترحه رجال قريش، فتحيّر (عبد المطلب) تجاه تلك المشاعر الساخنة، والاعتراضات القوية، وراح يفكّر في طريقة يتمكن من خلالها من الوفاء بالنذر من جهة وخلاص ولده من جهة أخرى، فقرروا أن تجري القرعة بين عبد الله وعشرة من الإبل، فإنْ خرجت القرعة باسم الإبل نحروها قربانا للكعبة، وإنْ خرجت باسم عبد الله زادوا في عدد الإبل عشرة أخرى، وهكذا أجريت القرعة، وكلما اقرعوا يظهر اسم عبد الله حتى بلغ عدد

---

١. شاب وَسيمٌ، أي حسَن الوجه.

٢. الشقيق: الأخ من الأبوين.

٣. ذرف الدمع يذرف، أي سال.

الإبل مائة فخرجت القرعة (القداح) باسم الإبل، فقال الحاضرون لعبد المطلب: قد رضي ربّك يا عبد المطلب، وأحدث ذلك فرحة كبيرة لدى الناس، بيد أنَّ (عبد المطلب) طلب أن تُعاد عملية القرعة قائلاً: «لا والله حتى أضرب ثلاثاً»، وإنّما أراد ذلك ليستيقن أنّ ربَّه قد رضي عنه، ومن حسن الحظ أنّ القداح خرجت على الإبل المائة أيضا فنحرت الإبل.

الزواج المبارك

رجع وهب بن عبد مناف من رحلة الصيد إلى داره مسرعاً، ولم تغادر مخيلته صورة الفتى عبد الله الذي أبهره بجماله وكرم أخلاقه، وما إنْ وطأت قدماه صحن الدار حتى قال لزوجته: لا يليق بالزواج من ابنتي آمنة إلا الفتى عبد الله؛ فهو أفضل شباب قريش كرماً ونبلاً وشرفاً ومروءة، ولمّا سمعت آمنة باختيار والدها هذا، أبدت رضاها بالزواج منه، فأمر وهب امرأته أن تذهب إلى عبد المطلب لتعرض عليه رغبتهم في زواج ابنتهم آمنة من عبد الله، وما إنْ سمع عبد المطلب بذلك وكان يعرف آمنة وأمّها من بيت عريق وأسرة كريمة وافق على الفور، لأنه لا يرى من هي أفضل منها للاقتران بابنه عبد الله.

ثم إنّ (عبد المطّلب) عيَّن موعداً للزفاف، وعند حلول ذلك الموعد تمّت مراسمُ الزفاف في بيت (آمنة) طبقاً لما كان متعارفاً عليه في قريش، انتقل بعدها عبد الله مع زوجته إلى منازل بني عبد المطلب.

الأسئلة

١. ما اسم والدي النبيّ الأكرم محمّد ﷺ؟

٢. ما هي الحادثة الأبرز التي وقعت لعبد الله والد النبيّ ﷺ إبّان صغره؟

٣. ما هو نوع القرابة النسبية بين كل من أبي طالب وعاتكة وبين النبيّ محمّد ﷺ؟

٤. ما هو المقترح الذي عرضته عاتكة على أبيها عبد المطلب لنجاة أخيها عبد الله من الذبح؟

٥. ما هو موقف عبد المطلب من زواج ابنه عبد الله من آمنة بنت وهب؟

٢

مولد النبيّ ﷺ والحوادث العجيبة

عاشت آمنة مع زوجها عبد الله في بيت ملؤه الحنان وتغمره المحبّة، وكان زوجها يفيض عليها بحنانه ويحنو عليها بعطفه ويشعرها بحبّه الكبير لها، وكانت آمنة تبادل زوجها نفس المشاعر والأحاسيس، فعاش الزوجان أجمل أيام حياتهما، إلا أنّ زوجها لم يقمْ معها طويلا حيث خرج بتجارة إلى الشام وتركها وهي حاملٌ بولدها، فبقيت تترقب أخباره وتنتظر بفارغ الصبر عودته إلى البيت الذي غمرها فيه بحنانه، ولكنّه بعد أنْ مكث في رحلته إلى الشام عدّة شهور عرج على أخواله في المدينة المنورة ليستريح عندهم من وعثاء السفر،[1] فمرض هناك ومات عند أخواله ودفن في المدينة.

ولما سمعت آمنة بخبر وفاة زوجها حزنت كثيراً وشعرت بانهدام بيت سعادتها وسقوط الركن الذي كانت تلوذ به، ولم يبق أمامَها أملٌ إلا ذلك الجنين الذي ما زال في أحشائها، حيث كانت تسمع هاتفا يبشرها بأن الجنين الذي في رحمها ستكون له منزلة عظيمة، وإنّها حملت بسيّد هذه الأمّة، وخير البرية، وخاتم الأنبياء.

مرّت الأيام وآمنة تنتظر الطلعة البهية لجنينها، حتى وضعته في مكّة المكرمة، في منزل أبيه عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام في شعب أبي طالب،[2] وكانت ولادته في اليوم السابع

---

١. وعثاء السفر، أي شدة التعب والمشقة.

٢. شعب أبي طالب، مكان يقع في إحدى نواحي مكة المكرمة، حاصر فيه المشركون النبي ﷺ واصحابه والهاشميين ثلاث سنين.

عشر من شهر ربيع الأوّل من عام الفيل بعد طلوع الفجر.[١]

ولما وضعته أمنة أرسلت إلى جدّه عبد المطلب وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء إليها، فقالت له: ولد لك مولود مبارك وله أمر عجيب، ثم أخرجته له، فنظر إليه وأخذه ودخل به الكعبة ودعا الله تعالى ثم خرج فدفعه إليها وسمّاه محمّداً.

الحوادث العجيبة

رافقت ميلادَه الكريم حوادث خارقة ووقائع عجيبة، هي:

١. انكباب الأصنام في الكعبة الشريفة وتساقطها على وجهها عند ولادته.

٢. إرتج في تلك اللّيلة أيوان كسرى،[٢] وسقطت منه أربع عشرة شرفة.

٣. جفاف بحيرة ساوة القريبة من العاصمة الإيرانية طهران.

٤. خمدت في تلك الليلة نار معابد الزردشتيين[٣] في بلاد فارس، ولم تخمد قبل ذلك مدة ألف عام.

٥. ظهور نور من البيت الذي ولد فيه إلى عنان السماء. تقول آمنة في وصف تلك الكرامة: لما ولد النبيّ صلى الله عليه وآله غمرني نور أخضر، وكان النور مثل قوس السحاب يمتد من هامة رأسي إلى عنان السماء، فكشف الله عن بصري بذلك النور حتى شاهدت قصور بصرى[٤] في الشام.

---

١. عام الفيل: هو العام الذي هاجم فيه أَبْرَهَةُ الحبشي مكة المكرمة بجيش كبير ومع الفيلة يريد هدم الكعبة الشريفة، ولكنه قبل أن يصل الى مكة أرسل الله تعالى اليهم طيورا تسمّى أبابيل رمت بالحجارة فابادت ذلك الجيش كما ورد ذلك في سورة الفيل.

وقد اختلفت كلمة المؤرخين في تحديد السنة التي ولد فيها النبي الاكرم صلى الله عليه وآله والمشهور عندهم أنه ولد في عام الفيل.

٢. ايوان كسرى، قصر الحكام والملوك الايرانيين والذي ما زالت آثاره باقية في القرب من العاصمة العراقية بغداد في منطقة يقال لها المدائن.

٣. الزرادشتية، الزرادشتية. ديانة قديمة أسسها زرادشت الفارسي الأصل الذي عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. يعبد أصحابها النار ويعتقدون بالصراع بين الخير والشر وانتصار الخير، ويتخذ أتباعها من النار رمزًا مقدسًا لهم.

٤. بُصْرى، مدينة من مدن الشام وتسمى حوران، وتقع الآن داخل حدود الجمهورية السورية.

٦. ومن الواقع العجيبة التي روتها السيدة آمنة صلى الله عليه وآله عند ولادة النبيّ صلى الله عليه وآله، أنها سمعت قائلاً يقول لها: قولي: أُعيذُك بالواحد من شرّ كلّ حاسد، وسمّيه محمّداً.

وكانت فاطمة بنت أسد[1] حاضرة تلك الولادة المباركة وشاهدت تلك الحوادث العجيبة فذهبت مسرعة لتبشر زوجها أبا طالب عليه السلام بولادة ابن أخيه عبد الله وما شاهدته من حوادث.

فنظر أبو طالب إلى وجه زوجته المتهلل فرحا نظرة المسرور، وقال لها: أصبري لي ثلاثين سنة وستلدين فتى مثله إلاّ إنه ليس بنبيّ.

غمر فاطمة سرور كبير وعمّت وجودها الفرحة بهذه البشارة، ولكنها بقيت تتمتم مع نفسها كيف يكون ذلك بعد ثلاثين عاماً؟!

فولدت علياً عليه السلام بعد ثلاثين سنة.

---

١. فاطمة بنت أسد هي أم الامام علي بن أبي طالب عليه السلام.

الأسئلة

١. في أيِّ سفرة توفي عبد الله والد النبيّ ﷺ وفي أيِّ مدينة دفن؟

٢. ما هي البشارة التي بُشرت بها آمنة إبّان حملها بالنبيّ ﷺ؟

٣. متى وأين ولد النبيّ ﷺ؟

٤. ما هو عام الفيل ولماذا سمّي بذلك؟

٥. أذكر أربعة من الحوادث العجيبة التي قارنت ولادة النبيّ ﷺ؟

٦. بماذا بشر أبو طالب زوجته فاطمة بنت أسد عندما أخبرته بولادة النبيّ ﷺ؟

٣

رضاعة النبيّ ﷺ في بني سعد

ولد النبيّ ﷺ بعد وفاة أبيه عبد الله بشهرين، فكفله جدّه عبد المطلب وتولى رعايته، وفي اليوم السابع من ولادته ﷺ عق عنه جدّه جزوراً،[١] وأطعم المساكين والفقراء، ودعا رجالاً من قريش فحضروا وطعِموا، وهنأوه بالمولود السعيد وتمنوا له رفعة الشأن وبركة العمر.

وكانت عادة الأشراف في مكة بأن يرسلوا ابناءَهم إلى البادية ليتربوا وينشأوا في الجو الطلق والمناخ الصحو في البادية، ولم تكن من عادتهم أن يبقوا ابناءَهم في المدينة لكي لا تتلوث روح الصبيان بأجواء المدينة، ولكي يتعلموا في البادية على الانفتاح مضافا إلى الفصاحة وجودة النطق، فكان الأشراف في مكّة يقدمون ابناءَهم الرضع إلى المرضعات اللواتي يقصدن مكة يلتمسن الرضعاء ويذهبن بهم إلى بلادهنّ حتى تتم الرضاعة.

وفي اليوم السابع من ولادة النبيّ ﷺ قدم إلى المدينة عدد من نساء قبيلة بني سعد وكان من بين تلك النسوة السيِّدة حليمة السَّعدية، وبعد ساعات من البحث والمعاملة حصلت كافة النسوة اللواتي جئن مع حليمة على غايتهن وأخذت كل واحدة منهن رضيعا إلا حليمة بقيت تنتظر من يعطيها طفله لتتكفل برضاعته، ولمّا يئست من الحصول على رضيع قالت لزوجها: إنّي لأكره من بين صواحبي أن أعود ولم أخذ معي طفلاً أرضعه!!

وبينما هي تتحدث مع زوجها وإذا بعبد المطلب يطل عليهما عارضاً عليها رضاعة حفيده النبيّ ﷺ فاستبشرت بذلك خيراً، فأخذت الطفل وانطلقت به مع قومها إلى البادية.

---

١. عق عنه جذورا أي نحر عنه ناقة، و الجزور: الناقة التي تجزر، أي تقطع وتجزأ بعد نحرها خاصة، أو تكون معدة لذلك، وإن كانت لم تجزر ولم تنحر بعد.

وبعدما أقبلت حليمة إلى بادية بني سعد بذلك الوليد المبارك حصل من بركاته ما لم يكن يخطرها ببالٍ، خيرٌ يدرُّ عليها من كلِّ ناحية، وبركاتٌ تحلّ عندها في كلِّ شيء، وقد ذكر المؤرخون حديث السيدة حليمة عن تلك البركات وأوّل كرامة شاهدتها، إنها قالت:

إنها لمّا تكفّلت إرضاع النبيّ ﷺ أرادت أنْ ترضعه في محضر أُمّه، ففتحت جيبها وأخرجت ثديها الأيسر، وأخذت رسول الله ﷺ فوضعته في حجرها، ووضعت ثديها في فمه، فترك النبيّ ﷺ ثديها، ومال إلى ثديها الأيمن، فأخذت (حليمة) ثديها الأيمن من يد النبيّ ﷺ ووضعت ثديها الأيسر في فمه، وذلك لأنّ ثديها الأيمن كان خالياً من اللبن ولم يكن يدرُّ به، فخافت (حليمة) أنْ النبيّ ﷺ إذا مصّ الثدي ولم يجد فيه شيئاً لا يتناول ـ بعده ـ ثديها الأيسر. ولكنه أصرَّ على أخذ الثدي الأيمن، فلمّا مصّ ﷺ الثدي الأيمن امتلأ فانفتح حتى ملأ فمه فأدهش الجميع ذلك.

ولم تكن تلك أوّل وآخر كرامة شاهدتها حليمة من ذلك المولود المباركة فقد كانت تلك السنة التي ولد فيها رسول الله ﷺ سنة قاسية على قبيلة بني سعد حيث أصابها الجدب والقحط والغلاء، ولكنَّ بركات ذلك المولود غمرت بيت حليمة حيث سمنت أغنامها وزاد لبنها وبارك الله في كلِّ ما عندها.

بقي النبيّ ﷺ في حضانة حليمة أربع سنين شاهدت فيها الكثير من الواقع العجيبة والحوادث المباركة، ولمّا بلغ السنة الخامسة من عمره قررت حليمة أن ترجعه إلى أمّه فقد طال الفراق ومن غير الصحيح إبقاء هكذا طفل مبارك وذي كرامات عجيبة وخصال حميدة بعيداً عن أهله وديارِه.

قصة لطيفة من طفولة النبيّ ﷺ

تكشف لنا هذه القصة عن عظمة أيمان النبيّ ﷺ بالله تعالى وهو في السنين الأولى من حياته، كما تكشف لنا عن رفضه ﷺ للخرافات ومحاربته للأساطير، منذ أنْ كان صبياً يدرج، فانه كان يحارب تل الأوهام والخرافات، ويعارض الإيمان بها.

تقول حليمةُ السعدية: لمّا تمَّ له (أي لمحمّد) ثلاث سنين قال لي يوماً: «يا أُمّاهُ ما لِي لا أرى أخويَّ بالنّهار»؟

قلت له: يا بنيّ إنهما يرعيان غنيمات.

قال: فما لي لا أخرُج معهما؟

قلت له: تحبُّ ذلك؟ قال: نعم.

فلمّا أصبح دهَّنته وكحَّلته وعلَّقت في عنقه خيطاً فيه جزع يمانية (وهي من التمائم الباطلة التي كانت تعلّق على الشخص في أيام الجاهلية لدفع الآفات عنه)، فنزعها، وقال لي: مهلاً يا أُماه فإنَّ معِي من يحفظُنِي.

الأسئلة

١. من الذي تولى كفالة ورعاية النبيّ محمّد ﷺ بعد ولادته؟

٢. ما اسم المرأة التي أرضعت النبيّ ﷺ؟ وكم كان عمره حينما تكفلت بإرضاعه؟ وإلى أيّ بادية أخذته؟

٣. ما هي أوّل كرامة شاهدتها حليمة عند رضاعها للنبي ﷺ؟

٤. كم سنة بقي النبيّ ﷺ في حضانة السيدة حليمة؟ ولماذا قررت إرجاعه إلى أمّه؟

٥. ما هي أوّل قصة حدثت بين النبيّ ﷺ والسيدة حليمة تكشف عن رفضه للخرافة وعدم إيمانه بالأساطير؟

٤

النبيﷺ يعيش ألم فراق الأمِّ

لمّا بلغ النبيّ محمّدﷺ السنة السادسة من عمره المبارك خرجت به أمِّه آمنة بنت وهب في أوّل رحلة له إلى يثرب ليزور أخواله بني عدي بني النجار، وصحبتهما في هذه الرحلة (أمُّ أيمن) وهي بركة الحبشية لتتولى رعايته وخدمته في هذه الرحلة الطويلة، وكان الشوق يحدوه للوقوف على قبر أبيه الذي طالما سمع أمَّه آمنة تحدثه عن سجاياه وخصاله الحميدة التي قلّما اتصف بها شاب من شباب قريش. وما أنْ وطأت قدماه ديارَ أخواله من بني النجار في المدينة المنورة، حتى ذهب إلى تلك الدار التي دفن فيها أبوه عبد الله ﷺ، ليقيم فيها شهراً كاملا إلى جوار ذلك القبر الذي تضمن الجثمان الطاهر لوالده، وقد أحسَّ بحرارة الحزن تكوي فؤاده، ولعلّها المرّة الأولى التي يعيش فيها ألم اليتم عن قرب، ويعرف من خلالها معنى فراق الأب ويشعر بحرقته تسري في عروقه.

مضت الأيام والساعات سريعة وهو يعيش في تلك المرابع التي انجذب قلبه إليها كثيراً وحُفرت ذكرياتها على شغاف قلبه الصغير، حتى أنّهﷺ عندما وقعت عيناه على تلك الديار إبّان هجرته المباركة تذكر تلك الربوع وعادت إلى ذهنه خواطر تلك الرحلة الجميلة، وكان الرسولﷺ يذكر أموراً عاشها في مقامه إلى جنب قبر أبيه وفي أزقة وشوارع محلة بني النجار، وكيف كان يلعب مع أبناء أخواله الصغار ويمرح في تلك الربوع، وكيف تعلم السباحة في الحياض التي بناها أخواله، وكان يقول: إنّ أُمّي نزلت في تلك الدار، وكان هناك رجل يراقبني ويتابع حركتي حتى أنّه نظر إليّ ذات يوم ـ وأنا منفصلاً عن أصحابي ـ فقال: يا غلام ما اسمك؟

قلت: أحمد. فنظر إلى ظهري، وقال: هذا نبيُّ هذه الأُمّة، ثم راح إلى أخوالي فأخبرهم

فأقلق أُمّي كلام الرجل فقررت ترك المدينة والعودة بي إلى مكة المكرمة.

وبعد أنْ قررت الأمُّ العودة بولدها إلى مكة المكرمة شدّوا الرحال متوجهين صوب مكة وديار جدّه وبيوت أعمامه، فلمّا قطعا من الطريق مسافة، المّت العلّة بأمّه آمنة، وما كادت تصل إلى منطقة «الابواء» حتى ودّعت الدنيا والتحقت بالرّفيق الأعلى، ورجع محمّد ﷺ مع أمِّ أيمن وقد اغروقرت عيناه بالدمع واستولى على قلبه الأسى، وأخذ يشعر بأنّ القدر ضاعف عليه يتمه فزاده وحدة وألماً، كيف لا؟ وقد رأى بعينيه أمّه ترحل ـ كما رحل أبوه من قبل ـ وتتركه يتجرّع غصص اليتم وآلام الفراق.

وهكذا لم يتجاوز عمر النبيّ ﷺ السابعة، حتى أمسى يتيم الأبوين، وفقد تلك الأمّ الحنون والحضن الدافئ الذي كان يلوذ به ليعوضه عمّا فقده من حنان الأب.

وفي السنة السادسة للهجرة زار النبيّ ﷺ قبر أمّه آمنة عندما كان في طريقه إلى الحج حيث مرّ بقرية الأبواء التي دفنت فيها أمّه فجلس على أطراف قبرها باكياً متذكرا لتلك الأيام الجميلة التي كانت تغمره فيها بحنانها وتبذل قصارى جهدها كي لا يحس بمرارة فقد أبيه، وكان يحدث أصحابه عن عظيم منزلتها لديه حتى بكى الجميع لبكائه، وبعد أنْ قام بترميم القبر، شد الرحال ميمماً وجهه صوب المدينة المنورة.

حبّ النبيّ ﷺ وإكرامه لأمهاته من الرضاعة:

كانت ثويبة أمةً ـ خادمة ـ لأبي لهب، وقد أرضعت النبيّ ﷺ أياماً قليلة، وكان النبيّ ﷺ وزوجتُه الوفية «خديجة بنت خويلد» يقدّران هذا العمل لها حتى آخر لحظات حياتها. فكان ﷺ يكرمها كلمّا دخلت عليه، ويبعث إليها بالصّلة والهدايا من الطعام واللباس وهي في مكة، إلى أن بلغه خبرُ وفاتها في السنة السابعة للهجرة فحزن لذلك وسأل عن إبنها ليكرمه فقيل: مات قبلها. فسأل عن قرابتها، فقيل: لم يبق منهم أحد.

ولم ينحصر إكرامه بمرضعته ثويبة بلْ كان كثير الإكرام والإجلال لمرضعته حليمة السعدية، فقد روي أنَّ (حليمة) قدِمت على رسول الله ﷺ بعد زواجه من خديجة عليها السلام وكان عمره خمساً وعشرين عاما، فشكت إليه جدب البلاد والقحط الذي أصاب باديتهم وهلاك المواشي، فكلّم رسولُ

اللهﷺ (خديجة) فأعطتها من أموالها بعيراً وأربعين شاة، وانصرفت إلى أهلها موفورة، مسرورة.

وروي أيضاً أنّ حليمة السعدية استأذنت عليه ذات مرّة فلما دخلت عليه قال: «أُمّي أُمّي» وعمد إلى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه.

حبّ النبيّﷺ لأخته من الرضاعة

وقعت غزوة حنين في السنة الثامنة للهجرة بقيادة النبيﷺ وكان النصر فيها حليف المسلمين، فبعد فتح مكة واستسلام معظم أهلها، دخلت الكثير من القبائل المحيطة بمكة في الإسلام فضلا عن قبائل قريش ومشايخه، إلا أنّ قبائل هوازن، وثقيف ومن يدور في فلكهم أو حلفائهم بقيت معاندة ولم تسلم، وأظهروا العداء لهﷺ ولرسالته، فاضطرﷺ بعد اليأس من هدايتهم أنْ يغزوهم في عقر دارهم، وكان النصر حليف المسلمين وقد تمكنوا من أسر الكثير منهم، وكان في السبي أُخت الرسول من الرضاعية، شيماء بنت حليمة السعدية، من بني سعد، حيث إن بني سعد قد شاركوا هوازن الحرب ضد رسول اللهﷺ، فلمّا قامت على رأسهﷺ.

قالت: يا محمّد أُختك شيماء بنت حليمة تسبى؟!.

فنزع رسول اللهﷺ برده ـ رداءه ـ فبسطه لها، فأجلسها عليه، ثم أكبّ عليها يحدثها ويدخل السرور عليها.

فلما فرغ النبيّﷺ من حديثه معها أسلمت وطلبت منه أن يطلق سراح الأسرى والسبايا، فقالﷺ: أمّا نصيبي ونصيب بني عبد المطلب فهو لك، وأما ما كان للمسلمين فاستشفعي بي عليهم بعد أن يفرغوا من صلاتهم.

وبعدما صلّى المسلمون صلاة الظهر قامت شيماء فتكلّمت وأخبرتهم بأنَّ رسول اللهﷺ قد وهب لها سهمه وسهم بني هاشم، فوهب لها الناس أجمعون وأطلقوا الأسرى والنساء والأطفال من أبناء عشيرتها. إلا اثنين من المسلمين رفضا التنازل عن أسراهم وإرجاع السبايا إلى أهلهم.

فلمّا سمع رسول اللهﷺ بذلك قال لهما: أمّا من تمسّك منكم بحقه من هذا السَّبي، فله بكل إنسان ستُّ فرائض فردُّوا إلى قوم شيماء أبناءهم ونساءهم، فعاد الجميع إلى بلادهم فرحين مسرورين بعد أن تفضل عليهم النبيّﷺ بإطلاق سراحهم إكراماً لأخته من الرضاعة.

الأسئلة

١. في أيّ سنة خرج النبيّ ﷺ في أوّل رحله له؟ ومَنْ الذين رافقوه في رحلته؟ وما هي الغاية من تلك الرحلة؟

٢. متى وأين توفيت السيدة آمنة؟ وما هي ردة فعل النبيّ| عند رحيل أمّه؟

٣. متى زار النبيّ ﷺ قبر أمّه؟ وماذا فعل هناك؟

٤. اذكر نموذجا من احترام النبيّ ﷺ لأمّه الرضاعية؟

٥. في أيِّ معركة وقعت أخت النبيّ من الرضاعة شيماء في الأسر؟ وكيف تعامل النبيّ ﷺ معها؟

٦. ماذا طلبت شيماء من النبيّ ﷺ بعد إسلامها؟ وهل استجاب النبيّ ﷺ لها؟ وماذا حدث للاسرى؟

٥

النبيّ محمّدﷺ في كفالة عبد المُطّلب

مرّ بنا في الدروس السابقة أنّ والد النبيّﷺ توفي وهو لمّا يزل حملا في رحم أمّه، ولمّا يتم بَعدُ السابعة من عمره حتى فقد الحضن الذي كان يغمره بحنانه ويحنو عليه بكل جوارحه حيث توفيت أمّه في منطقة تسمّى الأبواء عندما كان عائداً معها إلى مكة بعدما فرغا من زيارة أخوال أبيه بني عَدِي بن النَّجار في المدينة المنورة، فحملته خادمته أمُّ أيمن لتوصله إلى جدّه عبد المطلب، وهو مثقل بالهموم وتعلوه سحابة من الحزن، ويحيط بشغاف قلبه ألم الفراق، فها هو ذا يشاهد بعينية أمّه تذهب كما ذهب أبوه من قبل، وتدع جسمه الصغير يحمل همَّ اليتم كاملاً.

فزاد ذلك في إعزاز عبد المطلب إياه واحتضانه له وأنزله منزلة البنوّة الحقّة، يجد عنده من الإعزاز والإكرام ومن الرعاية والعناية ما لم يجده يتيم غيره، ويرى من الإيثار والحبِّ من جدّه ـ الذي أتعبته السنون وأرهقته الأعوام وأقعدته الأيام عن الحركة ـ فوقَ ما يجده الأبناء من آبائهم، حتى أنّه كان يفضله على بنيه. وقد أشار المؤرخون إلى هذه المكانة والمنزلة التي حظي بها النبيّﷺ عند جدّه، قائلين: كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك ولا يقتربون منه حتى يأتي أبوهم ليجلس عليه فلا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له، فكان محمّدﷺ يأتي وهو صغير حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني فوالله إنَّ له لشأنا. ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ويسرّه ما يراه يصنع.

وكان يوصي أمّ أيمن به ويحثها على رعايته والاعتناء به، ويخبرها بأنّ لهذا الصبي شأناً عظيما وأن اليهود والنصارى يجدون اسمه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

محمّد صلى الله عليه وآله في كفالة أبي طالب

عاش محمّد صلى الله عليه وآله في كنف جدّه الذي أحاطه بعطفه حتى كاد أن ينسيه فقد أبويه، وكاد عمق فقدهما يهدأ بعض الشيء لو أن عبد المطلب عُمِّرأكثر مما عُمِّر، لكنّه مات في الثمانين من عمره ومحمّد بَعدُ في الثامنة من عمره، فحزن لموت جدّه بما لا يقل عن حزنه لموت أمّه. ولم تمتد كفالة جدّه له أكثر من سنة فقد شاءت الأقدار أن يتوفى جدّه ليفقد محمّد صلى الله عليه وآله ملاذه الثاني.

ولم يشأ عبد المطلب أن يترك شأن يتيمه هُملاً بعد موته، بل كان شديد التفكير بمصيره وبمستقبله من بعده، ومن هنا لمّا أحسّ بدُنوِّ أجله أرسل إلى ولده أبي طالب فأوصاه بأنْ يضمَّ محمّداً إليه، ويجعله في كفالته.

وحول هذه الواقعة يقول المؤرخون: لما قربت ساعة وفاة عبد المطلب عليه السلام جمع أبناءه ليوصيهم بالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وقال: محمّد يتيم فآووه، وعائل فأغنوه، أحفظوا وصيتي فيه.

فقال أبو لهب: أنا أكفله.

فقال له عبد المطلب: كفَّ شرّكَ عنه لا حاجة له بكفالتك!

فقال العباس: أنا أكفله.

فردّ عليه عبد المطلب قائلا: أنت سريع الغضب ولعلك تؤذيه بغضبك.

فقال أبو طالب: أنا له.

فقال عبد المطلب: نعم، أنت له. ثم التفت إلى محمّد صلى الله عليه وآله وقال: يا محمّد أطعْ عمّك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبه لا تحزن فإنَّ لي ربّاً لا يضيعني.

فلمّا سمع عبد المطلب بكلام حفيده سرّه ذلك كثيراً واغروقت عيناه بالدموع فرحاً، ثم التفت إلى ابنه أبي طالب وقال له: هو في كفالتك. فكان أبو طالب هو الرّكن الأمين الذي آثر عبد المطلب أن يودّي إليه يتيمه، فقام بالمهمة على أكمل وجه حيث ضمّ إليه محمّداً، حتى أقبل عليه يغمره بعطفه ورعايته، ويخلطه بنفسه وأهله، وأنزله بين بنيه منزلة الإكرام والإيثار، وبسط عليه حمايته.

الأسئلة

١. بعد وفاة السيّدة آمنة في الأبواء من هي المرأة التي رجعت بالنبي إلى مكة؟

٢. من الذي تكفل حماية محمّد ﷺ في مكة بعد وفاة أمّه آمنة؟

٣. صف مدى العطف والحنان الذي حظي به محمّد من قبل جدّه عبد المطلب؟

٤. بماذا أوصى عبد المطلب خادمة النبيّ ﷺ أمَّ أيمن؟

٥. لماذا رفض عبد المطلب عرض أبي لهب بكفالة النبيّ ﷺ؟

٦. من هي الشخصية التي تكفلت بحماية النبيّ بعد رحيل جدّه عبد المطلب؟ وبماذا أوصاه عبد المطلب؟

٦

غضب أبي لهب

عندما اعتل عبد المطلب علّة شديدة أمر أن يحمل سريره إلى فناء البيت الحرام لينصب هناك عند أستار الكعبة، وأمر عبد المطلب أن يزيّن السريرُ بألوان الفرش ففعل ذلك، وحمل عبد المطلب إلى بيت الله الحرام واستلقى على ذلك السرير المزيّن يحيط به أولاده، واجتمع الهاشميون حاقّين بسرير عبد المطلب وهم يبكون ودموعهم تنهمر كالمطر. في تلك الأثناء صعد النبيّ ﷺ إلى سرير جدّه عبد المطلب، وقد اجتمعت عنده رجال العرب وكبار قريش ما منهم أحد إلا وعيناه تهملان بالدموع، فعند ذلك ظهر أبو لهب وأخذ برأس الطفل الصغير لينحيه عن جدّه عبد المطلب، فصاح به عبد المطلب وانتهره، قائلا له: مه يا عبد العزّى أنت من عداوتك لا تنفك من إظهارك بغضك لولدي محمّد، اقعد مكانك، وأمسك عنه.

فقام أبو لهب وقعد عند رجلي أبيه عبد المطلب خجلا مخذولا. في تلك الأثناء أراد النبيّ ﷺ أن يغادر سرير جده، لكنّ جدّه عبد المطلب فتح عينيه وقال: يا محمّد تريد أن تقوم؟

قال: نعم.

فقال عبد المطلب: يا ولدي إني وحق ربّ السماءِ لفي راحة ما دمت عندي، فقعد النبيّ ﷺ فما هي الا لحظات قليلة حتى فاضت روح عبد المطلب.

توفي عبد المطلب في اليوم العاشر من شهر ربيع الأوّل من السنة الثامنة بعد عام الفيل، وقد فاضت روحه وكانت يد محمّد ﷺ على صدره.

تقول أمُّ أيمن: أشتد حزن محمّد ﷺ لفقد جدّه كثيراً فكان دائم البكاء وهو يتبع نعشه إلى مثواه الأخير في مقبرة الحجون بالقرب من المسجد الحرام.

محمّد صلى الله عليه وآله في بيت أبي طالب

بعد أن فرغ القوم من دفن عبد المطلب رجع محمّد صلى الله عليه وآله حزينا باكياً، مع عمّه أبي طالب متوجها هذه المرّة صوب دار عمّه الذي تكفل برعايته بوصية من أبيه عبد المطلب، فأقبل به عمّه إلى منزله ودعا زوجته فاطمة بنت أسد وأوصاها به خيراً، قائلا: أوصيك بمحمّد فإنّه ولدي وقرّة عيني وابن شقيقي والأعزُّعليّ من روحي ومالي.

فقالت ـ وقد تذكرت تلك الحوادث العجيبة التي وقعت يوم ولادته ـ: توصيني يا أبا طالب بولدي وقرّة عيني، إنّه والله لأحبُّ الخلق إليّ. وكانت تحبّه حبّاً شديداً وتؤثره على أولادها.

ففرح أبو طالب بمقالها، ثم قالت: والله لأقدمنه على سائر أولادي، وجعلت تكرمه وتراقب حركته، ولا تدعه يغيب عنها طرفة عين أبداً، وكان يطعم من يريد ولم تعارضه بشيء أبداً، حتى أخذ يشق طريقه في الحياة وينمو بدنه ويشتدُّ عوده على أكمل وجه فتعجب أهل مكة من حسنه وجماله واستواء بدنه واعتداله.

وكان أبو طالب وزوجته فاطمة يؤثران محمّداً صلى الله عليه وآله بالنفقة والكسوة على نفسيهما وعلى أولادهما، وقد عبّر النبيّ صلى الله عليه وآله عن ذلك حين وفاة فاطمة بنت أسد عليها السلام قائلاً: اليوم ماتت أُمّي، وكفّنها بقميصه واضطجع في لحدها.

ولمّا شاهدت فاطمة بنت أسد الكثير من الكرامات لهذا الصبي والحوادث العجيبة التي وقعت على يديه المباركتين، دعت الله سبحان أنْ يرزقها ولداً شبيها به في الخصال الكريمة والأخلاق الرفيعة.

وكان النبيّ صلى الله عليه وآله عذب الحديث حلو المعاشرة، ما تناول طعاماً أو شرب سائلا، إلا وذكر اسم الله عليه، وكان عمّه أبو طالب يقول: لطالما افتقدت النبيّ محمّداً صلى الله عليه وآله فلم أجده في فراشته، فإذا بحثت عنه وجدته جالساً في زاوية من زوايا الدار يتأمل في السماء ويدعو الله تعالى بتضرع وخشوع.

وهكذا أثبت أبو طالب عليه السلام أنّه كان أهلاً لتحمّل مسؤولية كفالة النبيّ صلى الله عليه وآله، حينما أقبل على النبي صلى الله عليه وآله يغمرهُ بعطفه ويحنو عليه برعايته ويبسط عليه حمايته مُذْ كان صبيّاً وعمره

ثمان سنين، حتّى صار شاباً وتزوج من أمِ المؤمنين خديجة وانتقل معها إلى بيتهما، بعد أنْ عاش في كفالة عمّه قرابة السبع عشرة سنة.

واصل أبو طالب حمايته ورعايته للنبي الأكرم ﷺ بعد البعثة ودافع عنه بكلِّ ما أوتي من قوّة، وآمن بدعوته سرّاً ولم يعلن عن إسلامه أمام الملأ من قريش خشية أنْ يفقد مكانته في قريش فلم تسمع منه ولم تستجب له حينما يدافع عن رسالة ابن أخيه، وهكذا بقي يدافع عنه ﷺ ويحثّ على نصرته حتى الساعات الأخيرة من حياته حيث توفي في السنة العاشرة من البعثة وفي نفس العام توفيت أمُّ المؤمنين خديجة عليها السلام فأطلق النبي ﷺ على ذلك العام عام الأحزان، وحينما فقد رسول الله ﷺ حماية أبي طالب وغطاءه الاجتماعي، ونصرته المسلّحة، تكالبت عليه الأعداء، واشتدّ أذي قريش ووحشيتها على رسول الله ﷺ وأصحابه، فأوحى الله تعالى إلى النبيّ ﷺ بالهجرة إلى المدينة المنورة.

الأسئلة

١. كيف تصرّف أبو لهب مع النبيّ ﷺ أثناء احتضار عبد المطلب؟ وماذا قال له عبد المطلب؟

٢. متى توفي عبد المطلب عليه السلام؟ صف الحالة التي توفي بها؟

٣. ما هي الصورة التي نقلتها أمّ أيمن عن النبي ﷺ وهو يشترك في تشييع جنازة جدّه؟

٤. بماذا أوصى أبو طالب عليه السلام زوجته فاطمة بنت أسد؟ وكيف أجابته فاطمة؟

٥. ما هي سيرة وآداب النبيّ ﷺ في الأكل والشرب؟ وماذا يفعل ﷺ عندما كان يترك فراشه ليلاً؟

٦. كم سنة عاش النبيّ ﷺ في كفالة عمّه أبي طالب؟

٧

مع محمّدﷺ في الرحلة التجارية إلى الشام

كانت الشام (العاصمة السورية دمشق) إحدى المحطات التجارية التي يقصدها القرشيون، حيث كانت لهم رحلتان: إحداهما في الصيف يذهبون فيها إلى الشام، والأخرى في الشتاء يتوجهون فيها إلى اليمن، وكانت التجارة الخارجية سبيل ثروة الكثير من رجالهم.

وعندما بلغ النبيّ الثانية عشرة من عمره، وجد قافلة قريش تستعد للحركة صوب الشام، وفيها كافله والراعي له عمّه أبو طالب، فابتغى أنْ يكون مع هذه القافلة، يسير بسيرها، ويكون بمعيّة عمّه وكافلة في تلك الرحلة، إلا أنَّ عمّه كان يستصغر سنه ويخشى عليه عناء السفر ومشاكله، ويرى أنَّ تلك الرحلة الشاقة فوق طاقته، وفي الوقت نفسه كان قلقاً عليه ولا يريد أن يسافر ويترك ابن أخيه اليتيم في مكة لوحده.

ولكنّ شدّة رغبة النبيّﷺ جعلت عمّه يستجيب لطلبه، ولقد عبّرت كتب السيرة عن رغبة محمّدﷺ بقولها: صب به رسول اللهﷺ ـ أي تعلق بالسفر ـ وأحبَّ الصحبة فرقَّ له أبو طالب وقال: لأخرجن به معي ولا يفارقني، ولا أفارقه أبداً.

خرج محمّدﷺ مع عمّه للتجارة إلى الشام، فحلّت القافلة بأرض مدينة بصرى التي كانت موطناً لصوامع الرهبان، يقيمون بها، منصرفين إلى عبادتهم.

وكان ببصرى راهب في صومعة، اسمه بُحَيرى، وكان على علم بالكتاب المقدس، وكان من طبيعة بحيرى كما هو طبيعة كل الرهبان ألا يخرجوا للقاء القوافل ولا تعرّف أحوالها، ولا استضافة من فيها، لأنَّ الرهبان يفضلون العزلة والانزواء عن الحياة العامّة، ويظهر أنْ قوافل العرب تعودت هذا، وتعودوها من هذا الراهب خاصّة ألا يلقاهم، ولا يلقوه.

ولكنّه في هذه المرّة خرج من صومعته، إذ رأى من البينات ما يتفق وما عنده من التبشير برسول يأتي من بعد عيسى اسمه أحمد.

فخرج من الصومعة ليلتقي بتلك القافلة ويعرف من تنطبق عليه تلك الأمارات، وتتحقق فيه البشارة. ذلك أنهم نزلوا قريبا من صومعته، وأنّه رأى غمامة (غيمة) تظلهم تسير حيث يسيرون وتقف حيث يقفون، ويظهر أنّه أدرك بحسّه الديني وما عنده من بشارات أنَّ في هذه القافلة من له شأن عظيم.

ولذلك أراد أن يعرف القوم وقافلتهم جيداً، فاتّجه إلى إكرامهم، فأعدّ لهم وليمة عامّة تشمل صغيرهم وكبيرهم، لا يتخلّف منهم أحدٌ، وأرسل إليهم يدعوهم، وقال في رسالته لهم: إنّي صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، فأحبُّ أنْ تحضروا كلكم، كبيركم وصغيركم، وسيّدكم وعبدكم.

محمّد صلى الله عليه وآله في صومعة بُحَيرى

اجتمع القوم عند بُحَيرى، ولم يتخلّف إلا محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله لحداثة سنّه، فنظر بحيرى إلى الغمامة قائمة مكانها، فقال لهم: هل بقي منكم أحدٌ لم يأتني؟

فقالوا: ما بقي منا إلا غلامٌ حدث خلفناه في الرحلِ.

فقال: لا ينبغي أن يتخلّف عن طعامي أحدٌ منكم فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا أقبل أقبلت الغمامة معه، فأخذ بحيرى يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياءَ من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته.

حتى إذا فرغ القوم من طعامهم، قال له: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عمّا أسألك. وإنّما قال بحيرى ذلك، لأنه سمع رجال القافلة يحلفون بهما فظن أنّه من المشركين.

فقال محمّد صلى الله عليه وآله: لا تسألني باللات والعزّى شيئاً، فو الله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما.

فلمّا سمع بحيرى منه ذلك عدل عن استقسامه بهما، وقال: بالله إلا أخبرتني عمّا أسألك عنه.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: سلني عمّا بدا لك.

فجعل بحيرى يسأله عن كلِّ ما أراد معرفته من شأنه، والنبيّ صلى الله عليه وآله يخبره، فأدرك بحيرى أنَّ هذا الفتى هو النبيّ الموعود به.

ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوّة بين كتفيه، في موضعه من صفته التي عند بحيرى.

فلمّا فرغ النبيّﷺ من الإجابة عن جميع ما سأل عنه بحيرى كما هو في الكتاب السماوي عندهم، التفت بحيرى إلى القوم، وقال: مَنْ هذا الغلام؟

قالوا: ابن هذا، وأشاروا إلى أبي طالب.

فقال له بحيرى: هذا ابنك؟

قال أبو طالب: هذا ابن أخي.

قال: ما فعل أبوه؟

قال: توفي وهو حَمْلٌ.

فقال بحيرى لأبي طالب: ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر من اليهود، فو الله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت ليكيدوا له شراً، فإنّه كائن لابن أخيك شأن عظيم.

وما إنْ سمع أبو طالبعليه السلام وكان قد رأى من قبل كرامات محمّدﷺ وسمع ما رأته زوجته فاطمة بنت أسد من كرامات ليلة ولادتهﷺ، استيقن أنَّ نصيحة بحيرى حقٌّ، وقفل به مسرعاً إلى مكة، خشية عليه مما حذره منه الراهب.

الأسئلة

١. كم كان عمر النبيّ صلى الله عليه وآله حينما سافر مع عمّه إلى الشام؟ ولماذا قرر عمّه اصطحابه معه في تلك الرحلة؟

٢. لماذا دعا الراهب بحيرى القافلة إلى تناول الطعام في صومعته؟ وكيف اشترك النبيّ في تلك الضيافة؟

٣. ما الذي توقعه الراهب لمستقبل محمّد صلى الله عليه وآله؟ وماذا طلب من عمّه أبي طالب؟

٤. لماذا اقسم الراهب على محمّد صلى الله عليه وآله باللات والعزى؟ وما كان جواب محمّد صلى الله عليه وآله؟

٥. ما هو موقف أبي طالب عليه السلام من نصيحة الراهب بحيرى؟

٨

محمّدﷺ يرعى الغنم في مكة

عاد محمّدﷺ من تلك الرحلة التي بدت تلوح فيها تلك البشائر النبوية المباركة، إلى بيت عمّه الذي غمره وزوجته فاطمة بكلِّ ما وسعهما من عطف، ووفرا له ما يحتاجه من وسائل حياة كريمة، إلا أنّه ﷺ كان يفكّر في مهنة يعتمد فيها على نفسه ويوفر ما يحتاج إليه من خلال كدح يمينه، ولا يكون عالةً على عمّه، فهو يريد الكسبَ والارتزاق من عمل يده، ولما علم عمّه أبو طالب عليه السلام برغبته هذه فسح المجال أمامه ليشاركه ﷺ في الأعمال التي يقوم بها.

وكان النبيّ ﷺ قد اتخذ قراره بأنْ يعمل راعياً للأغنام رغم علمه أن مهنة الرعي لا تقارن بمهنة التجارة من ناحية ما تدرّه من فوائد مادية، لكنّه مع ذلك لم يستنكف من الرعي، بل وجدَ فيه فرصة للابتعاد عن المشركين والمحيط والفساد الذي كان سائداً بين سكان مكة المكرمة من جهة، وجد فيه فرصة للتفكير في عظمة الله تعالى والتأمل في عجيب صنعه تعالى في الجبال والسهول والطيور والحيوانات والمياه و.... وليقترب أكثر من الله تعالى من جهة أخرى.

وكان النبي يفتخر بتلك المهنة ويعتز بها، وكان يقول بعد أن بعث نبيّاً: ما من نبي إلا وقد رعى الغنم.

محمّد الأمينﷺ

كان أكثر الرعاة في ذلك الوقت يخونون الأمانة، ويتصرفون في الأغنام التي يرعونها تصرّفاً محرّماً، فتارة يحلبونها ويشربون لبنها من دون علم أصحابها، وأخرى يذبحون بعض الشياه ويأكلونها، ويدعون أن الذئب أكلها؛ فيما كان النبيّ ﷺ يراعي الأمانة ويحفظ الأغنام فلا

يتصرّف في شيء من ألبانها ولا يأكل منها شيئاً، وقد اشتهر ذلك بين الناس وعرف في أوساط المجتمع المكي بذلك حتى أطلقوا عليه لقب الأمين.

ولم تكن الأمانة هي الصفة الوحيدة التي تحلّى بها صلى الله عليه وآله، بلْ كان النبيّ يراعي جميع الخصال الحميدة ويحافظ على مكارم الأخلاق كالأمانة والصدق و... ومن جميل أخلاقه ـ وكل أخلاقه جميلة ـ التي اتسم بها منذ صباه، الوفاء بالعهد ورعاية حقوق الناس، فقد روي عن عمّار بن ياسر أنّه قال: كنتُ أَرعَى غُنَيْمَةَ أَهلي وكان محمّد صلى الله عليه وآله يَرعَى أَيضاً. فَقلْتُ: يا محمّد هل لك أنْ نرعى أغناماً في منطقة فخ فإنها غنيّة بالعشب والنباتات؟

قَال: نَعمْ. فَجِئْتُهَا صباحا وقدْ سَبَقَنِي محمّد صلى الله عليه وآله وهُوَ قَائِمٌ يمنع غَنَمَهُ عن الدخول إلى تلك الأرض المعشبة الخضراء!! ولمّا سألته: لماذا تمنع الغنم من الدخول إلى الروضة؟

قال صلى الله عليه وآله: إِنّي كنتُ واعدْتُكَ فكرِهْتُ أَنْ أَرْعَى قبلك!!

وفي رواية أخرى إنّه صلى الله عليه وآله اتفق مع عمّار على رعي الغنم سويّة في أحد المراعي، فتخلّف عمّار وبقي النبيّ ينتظره حتى المساء، حينها تذكر عمّار واعتذر للنبي صلى الله عليه وآله لأنه نسي الموعد الذي اتفقا عليه.

تكشف هذه القصص عن أسمى درجات الإيثار والوفاء بالوعد واحترام حقوق الآخرين التي تحلّى بها النبيّ صلى الله عليه وآله منذ صباه.

حِلفُ الفُضُول

كان النبيّ صلى الله عليه وآله ومنذ نعومة أظفاره يحبُّ الخير ويكره الظلمَ ويبغض هضمَ حقوق الآخرين، وكان صلى الله عليه وآله يشارك قومه في الخير ويتجنب الشر ولا ينغمس فيه، فهو يفعل ما يتفق مع الفطرة المستقيمة التي فطره الله تعالى عليها، والمنهاج القويم الذي هداه الله إليه وأدّبه بأدبه.

ومن ذلك مشاركته وهو شاب في العشرين من عمره في حلف الفضول الذي يُعد أكرم حلف وأشرفه في العرب، حيث اجتمع عدد من شباب قريش ورجالها في دار عبد الله بن جدعان، للدفاع عن حقوق المظلومين، وتحالفوا في المسجد الحرام وتعاهدوا بالله ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدّي إليه حقّه ما أمكنهم ذلك، لا يرومون بذلك مالاً أو جزاءً.

وقد نُقِلت عنهﷺ عبارات كثيرة يشيد فيها بذلك الحلف ويعتزُّ فيها بمشاركته فيه، وكان يعدّه من أفضل الحوادث التي شارك فيها في شبابه، فقد روي عنهﷺ أنّه قال: لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو خيّرت بينه وبين الأموال الطائلة لفضلته على المال، وكان يقول بعد بعثته لو دعيت إلى حلف الفضول اليوم لأجبت؛ لما يتوفر عليه ذلك الحلف من هدفٍ سامٍ انعقد الحلف من أجله، والذي ينسجم مع روح الشريعة الإسلامية القائمة على العدل والأنصاف والدفاع عن المظلومين والمحرومين.

الأسئلة

١. لماذا قرر أبو طالب أن يشاركه النبيّ في أعماله بعد العودة من الشام؟

٢. لماذا فضل النبيّ ﷺ مهنة الرعي على التجارة؟

٣. كيف ينظر النبيّ ﷺ إلى رعي الأغنام وماذا قال عن هذه المهنة؟

٤. لماذا أطلق المكّيون لقب الأمين على النبيّ محمّد ﷺ؟

٥. اذكر نموجاً يكشف عن وفاء النبيّ ﷺ بالعهد إبّان صباه؟

٦. ما ذا تعرف عن حلف الفضول؟ وعلى أيٍّ شيء اقسم المشاركون فيه؟

٩

زواج النبيّ ﷺ من السيدة خديجة ﷺ

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي معروفةً في مكة بالعفّة والجمال والغنى ورجاحة العقل والحكمة، حتى لقبت بين أهلها بسيّدة قريش والطاهرة، وكانت من أسرة أصيلة عريقة النسب، لها مكانة وشرف في قريش، وعرفت أسرتها بالعلم والمعرفة، والتضحية والفداء.

وقد ورثت السيدة خديجة أموالاً طائلة، وثروة هائلة من زوجيها اللذين توفياً وتركا لها الكثير من المال والعقار. ولكنها ولرجاحة عقلها وذكائها لم تترك هذه الأموال كاسدة، بل استثمرتها في التجارة والبيع والشراء، واستخدمت رجالا صالحين ينوبون عنها في هذه المهمة ويديرون أعمالها التجارية، فاستطاعت أن تكسب عن طريق التجارة ثروة ضخمة إلى جانب ثروتها السابقة، حتى أصبحت أكثرُ القوافل التجارية التي تتوجه إلى الشام واليمن ملكاً لها.

وكانت خديجة بنت خويلد امرأة ذات شرف ومكانه مرموقة في قومها، وكانت قد سمعت من ابن عمّها ورقة بن نوفل (وكان من كُهّان قريش) يبشر ببعَثة رجلٍ من قريش ويحدّثها عن علامات النبوّة التي تنطبق على الفتى محمّد ﷺ.

ولم تنحصر معرفة خديجة بمحمّد ﷺ بما سمعته من ابن عمّها ورقة بن نوفل، بلْ شاهدت هي بنفسها الخلالَ الحميدة في شخصيته ﷺ وأعجبت بأخلاق فتى قريش الأمين، ونبله، وطهارته، وعظيم سجاياه وخصاله، وخاصّة عندما تعاملت معه عن قرب لمّا أرسلته في تجارة لها فعاد بأرباح طائلة، وحافظ على تلك الأموال بأمانة كبيرة، الأمر الذي حبّب إليها ذلك الشاب الأمين الذي لم يزل بعد في الخامسة والعشرين من عمره وهي في الأربعين من عمرها.

وبالرغم من كون المرأة التي تمتلك كلَّ هذه الصفات الحميدة التي تمتلكها خديجة تكون محط أنظار عظماء الرجال وسادتهم ورغبتهم في الزواج منها، لكنّها عليها السلام رفضت كلَّ الخاطبين لها رغم كونهم من خيار قريش وأشرافهم.

وعلى خلاف العادة المتبعة في ذلك العصر قررت السيدة خديجة أنْ تعرض على ذلك الشاب الأمين الزواج منها، فأرسلت إليه من يخبره برغبتها في الاقتران به، وذلك بواسطة إحدى النساء القرشيات التي بلّغته رسالة خديجة.

ولمّا عرضت عليه الزواج أبدى موافقته لما يعرفه من عظم شخصيتها، وأخبر عمّه أبا طالب عليه السلام بما جرى، فذهب أبو طالب خاطباً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وتمّ زواج النبيّ صلى الله عليه وآله من السيدة خديجة عليها السلام.

السيّدة خديجة عليها السلام المرأة الوفية

كان زواج النبيّ من السيّدة خديجة هو الزواج الأوّل، فكانت له نِعمَ الزوجة، ولمّا أكرم اللهُ محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوّة، كانت له نعم العون فوقفت عليها السلام إلى جنبه صلى الله عليه وآله وآزرته ودافعت عنه بكلّ قوّة، وبذلت كلَّ ما تملك في سبيل نجاح الرسالة، وكانت له ردءاً وعوناً من عوادي الدهر، ولمّا دخل بنو هاشم الشعب ـ شعب أبي طالب ـ محاصرين من قبل المشركين الذين منعوا عنهم كلَّ أنواع التعامل والبيع والشراء، كانت السيدة خديجة عليها السلام معهم وتحمّلت كل أنواع العذاب، وكان المسلمون ينفقون من أموالها، حتى نفدت تلك الثروة الطائلة، فاضطروا بعدها إلى أنْ يقتاتوا بورق الشجر، وكانت السيدة خديجة عليها السلام تتناول أحيانا جلداً يابسا تسدُّ به رمقها من الجوع، وكان صبيتهم يتضورون جوعاً، وظل المسلمون في شعب أبي طالب يقاسون الجوع والحرمان وخديجة معهم وهي سعيدة بما بذلته من ثروة في سبيل الله.

وقد حفظ النبيّ صلى الله عليه وآله لها ذلك العطاء وشكر كلَّ ما قامت به من عون ومؤازرة، فكان شديد الحبِّ لها والاحترام لشخصيتها، ولم يقتصر احترامه وحبّه لها في حياتها، بلْ كان النبيّ صلى الله عليه وآله يثني عليها ويمتدحها ويعبّر عن حبّه لها حتى بعد رحيلها عن هذه الدنيا حيث كان دائم الذِّكر لها، والحنين لها، يترحم عليها، ويتحدث عن الأيام والسنين الجميلة التي قضاها معها.

يقول المؤرخون: إنَّ النبيّ ﷺ ذكر خديجة ذات يومٍ فبكى، فقيل له: ما يبكيك عليها؟ فقال ﷺ: خديجة وأين مثل خديجة!!، صدّقتني حين كذّبني الناسُ، ووازرتني على دين الله، وأعانتني عليه بمالها.

بلْ كان ﷺ يبرُّ صديقاتها عليها السلام إكراماً لها، ويعطف على من كانت تعطف عليه، فقد روي أنّ عجوزاً دخلت على النبيّ ﷺ فألطفها وأحسن إليها، فلمّا خرجت سألته إحدى زوجاته عن ذلك، فقال: إنّها كانت تأتينا في زمن خديجة، وإنّ حسن العهد من الإيمان.

وبعد أن عاشت السيدة خديجة مع النبيّ ﷺ خمسة وعشرين عاماً، خمسة عشر عاماً منها قبل البعثة وعشرة منها بعد البعثة، فارقت الحياة في السنة العاشرة للبعثة النبوية بعد ثلاثة أيام من وفاة أبي طالب عليه السلام، ففقد النبيّ ﷺ بوفاتهما أكبر المحامين عنه والمدافعين عن رسالته ﷺ، فسمّى ذلك العام بعام الأحزان.

الأسئلة

١. كم كان عمر النبيّ صلى الله عليه وآله حينما تزوج أوّل مرّة؟ ومن هي المرأة التي تزوج منها؟ وكم كان عمر زوجته؟

٢. اذكر نموذجا من مؤازرة السيدة خديجة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله؟

٣. كم سنة عاشت السيدة خديجة مع النبيّ صلى الله عليه وآله، قبل البعثة وبعدها؟

٤. ماذا قال النبيّ صلى الله عليه وآله في حق السيد خديجة عليها السلام وفاءً لها؟

١٠

أولاد النبيّ ﷺ

كانت ثمرة زواج النبيّ ﷺ من السيدة خديجة عليها السلام ستة أولاد، حيث أنجبت له من الذكور القاسم وعبدالله، ماتا صغيرين، فقد مات القاسم قبل البعثة ومات عبدالله بعدها؛ وأما من الإناث فقد ولدت له كلا من: زينب ورقية وأمّ كلثوم وفاطمة، ولم يبق منهنّ بعد وفاته ﷺ إلا السيّدة فاطمة عليها السلام.

ولمّا توفيت السيدة خديجة عليها السلام وكان النبيّ في الخمسين من عمره، تزوج بعدها بعدد من النساء، لم يَنْجُبنَ له من الأولاد إلا زوجته مارية القبطية التي أنجبت له في السنة الثامنة ولده إبراهيم، الذي كان النبيّ ﷺ شديد الحب له، إلا أن القدر لم يمهله حيث توفي هو الآخر في السنة العاشرة للهجرة وله من العمر سنة وعشرة أشهر. ولمّا مات إبراهيم بكى النبيّ ﷺ حتى جرت دموعه على لحيته المباركة، فقيل له يا رسول الله، تنهى عن البكاء وأنت تبكي؟!

فقال: ليس هذا بكاء، إنّما هذه رحمة، ومن لا يرحم لا يرحم.

أراد النبيّ ﷺ بعمله هذا أنْ يقولَ لهم: إنّ البكاء الذي نهيت عنه هو البكاء المقترن بالجزع والاعتراض على أمر الله تعالى، لا البكاء النابع من عاطفة أبويّة أودعها الله في قلب الإنسان.

ثم قال ﷺ بعد الفراغ من دفن ولده إبراهيم: العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي الربّ وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون.

النبيّ ﷺ يثني على السيّدة خديجة عليها السلام

روي عن زوجة النبيّ ﷺ عائشة بنت أبي بكر أنّها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام فادركتني الغيرة،

فقلت: هل كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها، فغضب حتى اهتزمقدَمُ شعره من الغضب، ثم قال: لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناسُ، وصدّقتني وكذّبني الناسُ، وواستني في مالها إذْ حرمني الناسُ، ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء.

تقول عائشة: فندمت في نفسي وقلت: لا أذكرها بسيئةٍ أبداً.

النبيّ صلى الله عليه وآله يحارب الخرافة

ذكر المؤرخون أنّه لمّا مات ابنه إبراهيم حزن عليه وبكى بشدّة، وقد اقترن ذلك اليوم بحدوث كسوف للشمس، فذهب المولعون بالخرافات إلى ربط هذه الظاهرة بموت إبراهيم، فقالوا: إنّ الشمس كسفت بسبب موت إبراهيم، وأنّ ذلك دليل على عظمةِ المصاب.

فلمّا سمع صلى الله عليه وآله ذلك ارتقى المنبر، فقال: أيّها النّاس، إنّ الشمسَ والقمر آيتان من آيات الله، يَجريان بأمره ومطيعان له، لا ينكسفان لموتِ أحد ولا لحياته، فإذا انكسفا أو أحدهما صلّوا. ثمّ نزل صلى الله عليه وآله فصلّى بالناس جماعة صلاة الآيات.

وبعد أن فرغ من الصلاة توجه صلى الله عليه وآله إلى الإمام علي قائلا: قُمْ فَجَهّز ابني، فقام عليه السلام فغسل إبراهيم وكفنه وحنطه وحمله حتى انتهى به إلى قبره في البقيع.

ثم قال صلى الله عليه وآله: يا علي أنزل وألحد ابني ـ أي ضعه في قبره ـ فنزل علي عليه السلام فألحد إبراهيم في قبره.

ففهم الناس من فعل النبي هذا حرمة دخول الأب في قبر ولده، فقالوا: إنّه يَحْرُمُ على والد الميّتِ أنْ ينزلَ في قبرِ ولده.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّها الناس إنّه ليس عليكم بحرام أن تنزلوا في قبور أولادكم، ولكن لست آمن إذا حلَّ أحدُكم الكفنَ عن ولده أنْ يلعبَ به الشيطان فيدخله عن ذلك من الجزع ما يحبط أجره.

الأسئلة

١. مَنْ هم أولاد النبيّ صلى الله عليه وآله؟ ومَنْ هنّ أمهاتهم؟

٢. ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله بعد دفن ولده إبراهيم؟

٣. ماذا قال الرسول صلى الله عليه وآله في الثناء على السيّدة خديجة؟

٤. ما هي الخرافة التي واجهها النبيّ صلى الله عليه وآله عند موت ولده إبراهيم؟

٥. ماذا فهم الناس من نزول الإمام علي عليه السلام لدفن إبراهيم؟ وما هو ردُّ النبيّ صلى الله عليه وآله؟

١١

الطفل زيد بن حارثة وارتباطه بالنبي ﷺ

كانت نيران الحروب مشتعلة في العصر الجاهلي، بل كانت المعارك تثار بين قبائل الجزيرة العربية لأتفه الأسباب، وكان أهل الجاهلية ـ قبل بزوغ نور الإسلام ـ يسيرون على غير نظام عادل ومتحد، بلْ ينتهجون على شريعة الغاب والفوضى التي لا حدَّ لها، فيقتلون الإنسان وينتهكون الحرمات لأتفه الأسباب ظلما وعدواناً، ويأسرون الأحياء من رجال ونساء وأبناء القبيلة المهزومة في الحرب.

وكانوا يعمدون إلى انتهاب ما في أيدي الناس وإنْ لم يكن بينهم قتال أو حرب، وليس عندهم في أخذ أموال الناس حدٌّ ينتهون إليه، بلْ كلمّا امتدت أعينهم إلى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه.

وكثيراً ما كان المنتصرون يعمدون إلى عَرضِ الأسرى للبيع في الأسواق. وأمّا إذا اختاروا بقاء الأسير للخدمة في منازلهم فيحرمونه من أبسط الحقوق ويعاملونه معاملة قاسيّة في المأكل والمشرب والمنام، ويفرضون عليه القيام بأعمال شاقة.

ومن هؤلاء الأسرى طفل صغير أسمه زيد بن حارثة لم يتجاوز عمره الثماني أو التسع سنين حيث سرقه قُطّاع الطرق من الأعراب مع عدد من الأطفال والنساء من أبناء أخواله، وكان زيد قد قدم حينها مع أمّه لزيارة جدّته بالقرب من حدود الشام.

وبعد أن تمَّ أسره قدم به اللصوص مع سائر الأسرى وباعوه عبداً في سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام مع عدد من الأسرى، وعرض على عمّته خديجة بنت خويلد أن تختار واحداً منهم. فنظرت السيدة خديجة إلى زيد وهو في ذلك العمر والذهول والخوف الذي انتابه بسبب الأسر، فرقّ قلبها له واصطحبته معها إلى بيتها، ثم أهدته إلى زوجها رسول الله ﷺ.

فأخذ النبيّ يلاطفه ويخفف عليه وحشة الأسر وألم الغربة، ويسأله عن حاله وما جرى له من قبل اللصوص، فقصّ عليه زيدُ حكاية أسره، وكيف كان يلعب مع الأطفال بالقرب من البيوت، وإذا برجل قوي الجسد يمسك برقبته ويضربه بكفه على رأسه حتى أغمي عليه، فلمّا أفاق أحسَّ بيديه ورجليه مقيدتين بالحبال، وجاءوا به يسوقنه مع سائر الأطفال إلى مكة لبيعه في سوق العبيد.

ولما انتهى زيد من حديثه سأله النبيّ عن المكان الذي تسكن به عشيرته ليرجعه إليهم، إلا أنّ زيداً لم يكن يعرف شيئاً عنه بسبب صغر سنّه.

فقال له النبيّ ﷺ: ستعيش هنا حرّاً مكرّماً معززاً، وكان لهذا التعامل الكريم والسيرةِ الحسنة، والأخلاق الفاضلة والسجايا النبيّلة التي لمسها زيدٌ من النبي وخديجة الأثر الكبير في تعلّقه بهما، فصار يحبُّ رسول الله ﷺ حبّاً شديداً، حتى أنّه عندما جاء أبوه إلى مكة يبحث عنه، وعلم بوجوده في بيت النبيّ ﷺ مشى إلى رسول الله ﷺ وطلب منه أن يعتقه، ويعيده إليه، ليعيده إلى أُمّه ويُلحقه بأهله وعشيرته، فأبى زيدٌ العودة مع أبيه وقرر البقاء عند رسول الله ﷺ مفضّلاً ذلك على المضي مع أبيه، والعودة إلى وطنه، وعشيرته، وكان الرسول الله ﷺ قد خيّره بين المكث عنده أو الرحيل مع أبيه إلى وطنه.

وحينها قال الرسول ﷺ: يا معشر قريش إشهدُوا أنَّ زيداً هذا إبني.

وقد بقي هذا الحبُ المتبادل بين زيد، وبين رسول الله ﷺ إلى أنْ استشهد هذا المسلم الغيور والمؤمن المجاهد الشجاع في معركة مؤتة، فحزن رسول الله ﷺ لمصرعه كما حزن لفقد أولاده من قبل.

الأسئلة

١. كيف يتعامل أهل الجزيرة مع الأسرى وأبناء القبائل المنهزمة في الحرب؟

٢. أين أسر زيد بن حارثة؟ وما هي الطريقة التي أسر بها، وكيف أصبح عبداً في بيت السيدة خديجة؟

٣. ماذا قال النبيّ ﷺ لزيد بن حارثة بعد أن وهبته له السيدة خديجة؟

٤. ما هو موقف النبيّ ﷺ عندما جاء والد زيد بن حارثة للمطالبة بالعودة به إلى ديارهم؟

١٢

هدم الكعبة و إعادة بنائها

لم يكن محمّد الأمين ﷺ ممّن يتخلّف عن عمل خير يقوم به قومه، فكان يشارك أهلَ مكة في الأعمال التي لا تتنافى مع الفضيلة، ولما بلغ من العُمر خمساً وثلاثين سنه، أنحدر سيلٌ شديد ونزلت مياه غزيرة من الجبال المحيطة بمكة، فجرفت السيول البيوت وحملت الطين والغرين والخشب والحطب المنتشر في الوديان نحو البيوت ومنها بيت الله المعظّم (الكعبة المقدسة) فلم يسلم من هذا السيل بيت في مكة حتى الكعبة المعظمة، التي تصدّعت جدرانُها تصدّعاً كبيراً بفعل ذلك السيل الجارف وغمرها الطين وما حمله السيل.

فعزمت قريشٌ على إعادة بناء البيت وأعمار تلك البنية المعظمة، فأقدموا جميعاً على هدم ما تبقى من الكعبة لإعادة تشييدها من جديد، وقد شرعوا بالبناء فعلا فلمّا ارتفعت جدران الكعبة وقعت حادثة كادت أن تعصف بالمجتمع المكي وتوقع الحرب بينهم، ولم يتمكنوا من حلّها حتى أدركهم النبيّ ﷺ بحكمته المعروفة.

محمّد الأمين ﷺ

اتفق القرشيون على أن تقوم كل قبيلة منهم ببناء ركن من أركان البيت الأربعة، ولمّا أرتفع البناء ووصل إلى مستوى قامة الرجل، وآن الأوان لوضع الحجر الأسود ـ الذي كان المؤمنون وما زالوا يقدسونه باعتباره من الأحجار التي نزلت من الجنة من زمن النبيّ آدم عليه السلام وهو الذي جاء به إلى مكة ووضعه في مكانه الحالي من البيت الحرام ـ في محلّه من ركن الكعبة، وقع الاختلاف بين زعماء قريش، وتنازعوا في من يتولّى وضع الحجر الأسود في مكانه.

وتحالفت قبيلة (بني عبد الدار) مع (بني عديّ) على أنْ يمنعوا من أنْ ينال هذا الفخار والشرف غيرُهم، وعمدوا إلى إناء مملوء بالدم، وتأكيداً لذلك الميثاق غمسوا أيديهم في الدم وأخرجوها ملوحين إلى باقي القبائل بأنّهم لا يسمحون لغيرهم أنْ يسبقهم إلى هذا الشرف وتلك الكرامة. في الوقت نفسه شهر الآخرون السلاح ورفضوا أن يسبقهم بنو عبد الدار وبنو عدي إلى هذا الشرف العظيم.

من هنا تأخّرت عملية البناء وتوقّفت خمسة أيام بلياليها، وكاد أنْ تنشب بينهم حربٌ دامية، وربما طويلة، فاجتمعت طوائف مختلفة من قريش في المسجد الحرام وهي تنتظر حادثة خطيرة.

في تلك الظروف العصيبة عرض شيخ من شيوخهم وكان أكبرهم سنة أنْ يُحَكّموا أوّلَ رجلٍ يدخل المسجد لمعالجة المشكلة، وقال لهم: يا معشر قريش، إجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أوّل مَنْ يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، فوافقوه الرأي، ورأوا في ذلك حلا سليماً يعالج المشكلة التي كادت توقد نار الحرب بينهم، فكان أوّل داخل عليهم فتى قريش محمّد صلى الله عليه وآله، فلمّا رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمّد، ثم أسرعوا إليه ليحكم بينهم.

فقال صلى الله عليه وآله: هَلمّ إليّ ثوباً، فأخذ الحجر ووضعه فيه ثم قال: لتأخذ كلُّ قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوهُ جميعاً. ففعلوا حتى إذا بلغوا في موضعه من الركن وضعه صلى الله عليه وآله هو بيده مكانه، وبهذا حال دون وقوع حوادث دامية كادت أن تقع بسبب تنازع قريش، واختلافها، وحلّ الوفاق محلَّ الشقاق بعد أنْ رضي الكلُّ بحكمه.

فأزال بحكمته ذلك التخاصمَ، ولقد كشفت هذه الحادثة عن مدى الاحترام الذي كان يحظى به فتى قريش محمّد صلى الله عليه وآله لدى قريش، ومدى إيمانهم بصدقه وأمانته.

الأسئلة

١. ما هي نوعية الخراب والدمار الذي خلفه السيل الذي حدث حينما كان النبيّ ﷺ في الخامسة والثلاثين من عمره؟

٢. ما ذا فعل المكيون بعد تصدّع الكعبة بسبب السيول؟

٣. ما الذي أوقع الخلاف بين المكيين عند بنائهم للكعبة المشرفة؟ وكيف عالجوا المشكلة؟

٤. ما هو الموقف الذي اتخذه بنو عبد الدار وبنو عدي ليفوزوا بشرف وضع الحجر الأسود في مكانه؟

٥. ما هي خصائص الحجر الأسود ولماذا يحظى بقداسة عند القرشيين؟

٦. كيف عالج النبيّ محمّد ﷺ هذه المشكلة؟

١٣

العصر الجاهلي (١)

العصر الجاهلي أو مصطلح الجاهلية يطلق على الزمن الذي كان قبل البعثة النبوية، حيث كان المجتمع آنذاك يعيش سلوكية بعيدة عن العقلانية، تقوم على السفه والحماقة والانقياد لهوى النفس وعدم احترام القوانين والتشريعات السماوية. وقد حدثنا التاريخ عن الكثير من تلك السلوكيات التي تعكس مدى الجهل الذي يحكم المجتمع، منها:

١. لمّا تصدّى المُنذر بن أمرئ القيس لرئاسة قبيلته بني تميم، عارضته قبيلة (بكر بن وائل) وملّكوا عليهم (حارثة بن أبي ربيعة) وتوّجوه وحيّوه بتحيّة الملوك، الأمر الذي أزعج المنذر فمنح الأمان لمن أطاعه فقط، إلا أنهم لم يطيعوه ولم يعتنوا بتهديده لهم، فوقعت بينهم معارك عديدة، حتى انتصر عليهم المنذر وأسر منهم عدداً كبيراً من رجالهم، فأقسم بالله ليذبحهم برأس الجبل حتى يبلغ الدمُّ أسفلَ الجبلِ (الوادي)، وكان ذلك في يوم شديد البرد، فذبح منهم رجالاً، إلا أن الدماء جمدت في مكانها ولم تنحدر إلى الوادي، فقال له أحدُ رجاله: إنّك لو ذبحت الناس جميعاً في هذا اليوم البارد لم يبلغْ الدمُّ إلى أسفل الجبل.

فقال المنذر: فما أصنع بيميني الذي أقسمته؟

فاقترح عليه قومه طريقة تخلصه من تبعة ذلك اليمين وقالوا له: أرق الماءَ على هذه الدماء، ففعل فبلغ الدمُّ إلى الوادي.

تعكس هذه الحادثة طبيعة تفكير الإنسان في العصر الجاهلي واستخفافه بدماء الآخرين.

وقد سجل المؤرخون ١٧٠٠ معركة حصلت بين القبائل العربية في العصر الجاهلي لأسباب تافهة بسبب الجهل والعصبية القبلية وحبِّ الرئاسة والسلطة. وقد امتدت بعض تلك

الحروب كالحرب بين قبيلتي الأوس والخزرج[١] في المدينة المنورة ١٢٠ عاماً، ولم يخمد لهيبها حتى بزغ فجر الإسلام بعدما ألّف النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله بينهم.

٢. عندما رأى الأقرع بن حابسٍ التميمي رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وهو يقبل الحسنَ والحسينَ ويضعهما في حضنه، قال له: «إنّ لي عشرة من الولد، ما قبّلتُ منهم أحداً»، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: «من لا يَرْحم لا يُرحم».

وروي أنَّ قيساً التميمي شاهد الرسولَ صلى الله عليه وآله يقبل إحدى بناته، فتعجّب من ذلك، وقال: والله كان عندي عدد من البنات دفنتهن أحياءً، ولم أقبّلْ واحدة منهنَّ!! فردّ عليه الرسولُ صلى الله عليه وآله بصوت عالٍ: الويل لك، لقد نزعت الرحمة من قلبك، ولم تشكر نعمة الله تعالى.

تكشف هذه القصة عن حكاية أخرى تدلُّ على أنَّ الإنسان الجاهلي قبل الإسلام كان يتصف بجانب كبير من الغلظة والفظاظة والخشونة، وقد نزعت الرحمة من صدره.

٣. روى المؤرخون أنّ صعصعة بن ناجية بن عقال ـ وكان من أشراف بني تميم ـ لمّا وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا رسول الله، إنّي كنت أعمل في الجاهلية عملا صالحا، فهل ينفعني ذلك اليوم؟

قال صلى الله عليه وآله: وما عملت؟

قال: فقدت ناقتين من نياقي فركبت جملا ومضيت أبحث عنهما، فرأيت في الصحراء بيتاً فقصدته، فإذا شيخ جالس بفنائه فسألته عن الناقتين، فقال: هما عندي. فجلست معه ليخرجهما إليّ، فإذا عجوز قد خرجت من جانب البيت، فقال لها الشيخ الكبير: ما وضعت زوجتي؟ فإنْ كانت وضعت ذكراً أكرمناه وشاركناه بأموالنا، وإنْ كانت وضعت أنثى وأدناها (أيْ قتلناها).

---

١. خزرج وأوس أخوان أبوهما حارثة بن ثعلبة. وأم أوس وخزرج قيلة بنت كاهل بن عذرة؛ ولذلك يقال لهما ابنا قيلة، وكان منهما قبيلتان مشهورتان عظيمتان من العرب في المدينة المنورة، وسموا أيضاً الأنصار لأنهم أوّل من قام بنصرة النبي صلى الله عليه وآله وساعدوه في حروبه وآووه إلى أرضهم. وقد وقعت بينهم حروب امتدت ١٢٠ عاماً اطفأها النبي الاكرم صلى الله عليه وآله بعدما دخلوا في الاسلام.

فقالت العجوز وهي مضطربة: وضعت أنثى، فلمّا أراد أبوها قتلها اشتريتها منه بالناقتين والجمل، فاستنقذتها منه وآمنت بك يا رسول الله، وقد صارت لي سنّةٌ في العرب أنْ أشتري كلّ موؤدة بناقتين وجمل، حتى بلغ عدد البنات اللواتي أنقذتهن من القتل ثلاثمائة وستين موؤدة، فوعده رسول الله ﷺ خيراً، وقال له: لك أجره إذ منّ الله عليك بالإسلام.

الأسئلة

١. ما المراد من العصر الجاهلي؟

٢. بماذا أقسم المُنذر بن أمرئ القيس لو ظَفِر بقبيلة بكر بن وائل؟ وكيف عالج مشكلة يمينه؟

٣. ماذا تعرف عن قبيلتي الأوس والخزرج وأين يسكنان؟ ولماذا كانت الحرب مستعرة بينهما قبل الإسلام؟

٤. أيّ عمل حسن كان يفعله صعصة بن ناجية؟ وماذا قال له النبيّ صلى الله عليه وآله؟

١٤

العصر الجاهلي (٢)

تشرّب المجتمع الجاهلي الكثير من الأمور الباطلة، والأخلاق الذميمة، والفواحش، وفي مقدمتها الشرك وعبادة الأوثان، حتى أصبحوا في جاهلية عمياء، فانتشرت الأصنام ودور الأوثان في جزيرة العرب، حتى صار لكل قبيلة بل في كلِّ بيت منها صنم، وبلغ عدد الأصنام ستة عشر ألف صنمٍ، أمّا المسجد الحرام فكانوا قد ملأوه بالأصنام، ولما فتح رسولُ الله ﷺ مكة وجدَ حولَ البيتِ الحرامِ ثلاثمائة وستين صنمًا، وكان من أشهر تلك الأصنام وأكبرها تسعة أصنام منها: اللَّاتُ والْعُزَّى ومَناةُ.

وكانت الأصنام تصنع من الأحجار تارة ومن المعادن والفلزات ومن العاج تارة أخرى، بلْ كانت تصنع أحياناً من التمر فإذا جاعوا أكلوها ثم صنعوا غيرها.

وكان العرب يقدمون القرابين من الجمال والأبقار والأغنام لتلك الأصنام، ولتقديس دماء ذبائحهم والقرابين لهياكل الأصنام والأوثان، كانوا ينصبون لديها أحجاراً يسمونها النصب والأنصاب يصبّون عليها دماء تلك الذبائح التي يتقربون بها إلى آلهتهم. وقد ملأوا جوفَ الكعبة بتلك الأصنام وأخذوا يطوفون حولها تعظيماً لتلك الأوثان.

خرافات العصر الجاهلي

المراجع لتاريخ تلك الحقبة من العصر الجاهلي يواجه شيئاً كثيراً من الخرافات التي قد استحوذت على عقول العرب الجاهليين، فكانت الأساطير إحدى عوامل التخلّف فيهم عن سائر الأمم وشعوب العالم آنذاك. ومن نماذج الخرافات التي سجّلها المؤرخون:

١. الطواف في البيت الحرام عراة، فرض القرشيون على كلّ شخص يدخل مكة لأداء مراسم العمرة أو الحجّ، مجموعة من القيود وتعاملوا معهم بطريقة تستخف بعقولهم وتحط من منزلتهم، ففرضوا عليهم أن يلبسوا عند الطواف بالبيت ثياب أهلّ مكّة التقليدية القومية، ومن لم يملك ما يشتري به تلك الثياب عليه أن يطوف بالكعبة عارياً؛ وأمّا صلاتُهم عند البيت الحرام فما كانت إلا مكاءً وتصديه، أي صفيرا وتصفيقاً، ليس فيها من الخشوع والخضوع شيءٌ.

٢. كانوا إذا دخلوا قرية وخافوا الجن أو الطاعون صاحوا في مدخل القرية عشر مرّات بصوت الحمير (النهيق)، وقد يعلقون برقابهم عظم الثعلب للاستشفاء به من المرض؛ وكانوا إذا عزموا على السفر يلبسون رداءهم بالمقلوب كي يرجعوا إلى أهلهم سالمين.

٣. كانوا يعتقدون بأنّه يجب على المرأة التي يموت أولادها أن تطأ القتيل سبع مرّات، ويرون أن ذلك نافع لها ليسلم لها أولادها بعد هذا.

٤. ومن المزاعم الناشئة عن الخرافة والجهل، وانحطاط الفكر، أنّ الرجل منهم إذا أراد السفر، عقد خيطاً بشجرة من الأشجار الموجودة خارج المدينة، ظنا منه أنّه متى أحدثت امرأته بعده أمراً منكراً، انحلّ ذلك الخيط!! وفي هذا الزعم الساذج ضررٌ كبيرٌ على علاقة الزوجية، وتشويه عرض المرأة؛ إذ الخيوط التي تعقد في الأشجار معرضة للحلّ، أو الانحلال في أيّ وقت.

ومن هنا وصف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الحالة في العصر الجاهلي بقوله: أمّا بعد فإن الله تعالى بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وأنتم معاشر العرب على شرّ حالٍ، يغذو أحدكم كلبَه، ويقتل ولدَه، ويُغيرُ على غيره فيرجع وقد أغير عليه، تأكلون العلهز[1] والهبيد[2] والميتة والدم، تنيخون[3] على أحجار خشن وأوثان مضلة، وتأكلون الطعام الجشب،[4] وتشربون الماء الآجن،[5] تسفكون دماءكم، ويُسبي بعضُكم بعضاً، الأصنام فيكمْ مُنصُوبةٌ والآثامُ بكمْ مَعْصُوبَة.

---

١. العلهز، طعام كانوا يتخذونه من الدم، ووبر البعير، في سنّين القحط والمجاعة.

٢. الهبيد، الحنظل أو حبّه.

٣. تنيخون: تقيمون. والخشن ـ كالقفل ـ جمع خشناء، من الخشونة ضد (لأن).

٤. جشب الطعام: غلظ.

٥. الآجن: المتغير اللون والطعم.

٥. كانت الحروب تنشب بينهم لأتفه الأسباب، فهم لا يبالون بشنِّ الحروب وإزهاق الأرواح، ومن تلك الحروب حرب البسَوُس التي اندلعت بين قبيلتي بكر وتغلب بسبب ناقة للجَرْمي وهو جار للبسوس بنت منقذ خالة جساس بن مرّة، وقد كان كليب سيّد تغلب قد حمى لإبله مكاناً خاصّاً به، فرأى فيه ناقة الرجل الجَرْمي فرماها فجزع الجرمي وجزعت البسوس، فلمّا رأى ذلك جساس ابن أخت البسوس تحيّن الفرصة لقتل كليب فقتله، فقامت الحرب الطاحنة بين القبيلتين لمدّة أربعين عاماً وقيل خمسين عاماً، سالت خلالها الدماء وقتل الكثير من الرجال.

الأسئلة

١. كم هو عدد الأصنام المنصوبة في العصر الجاهلي في المسجد الحرام؟ وما هي أشهرها؟ ومن أيِّ شيء تصنع؟

٢. اذكر نموذجين من الخرافات السائدة في العصر الجاهلي؟

٣. كيف وصف الإمام علي عليه السلام حالة العرب في العصر الجاهلي؟

٤. ما هو سبب نشوب حرب البسوس؟ وكم استمرت؟

١٥

تعبّد النبي ﷺ في غار حِراء

غار حِراء هو المكان الذي كان الرّسول محمّد ﷺ يتعبّد فيه قبل البعثة، ويقع الغار في شرق مكة المكرّمة على يسار الذاهب إلى عرفات في أعلى (جبل النور) أو (جبل الإسلام)، على ارتفاع ٦٣٤ مترعن مستوى سطح البحر فيما يبلغ ارتفاع قمة الجبل ٢٠٠متر، ويقع الغار على مسافة ٥٠ متراً قبل الانتهاء إلى قمة الجبل، ويبعد الجبل تقريبًا مسافة ٦ كم عن المسجد الحرام، وتقع مدينة مكة المكرّمة في أسفل الجبل.

وغار حراء عبارة عن فجوة ناتجة عن التقاء صخرتين كبيرتين، مفتوح من الطرفين، ويتّجه بابه إلى جهة الشمال، ويدخل الداخل من تحت صخرة إلى فُسْحة، طولها ثلاثة أمتار وعرضها متران أو دون ذلك بقليل، فيما يبلغ ارتفاع الغار بمقدار قامة متوسطة، ويشرف الغار من الجهة الأخرى على منطقة الحرم ومناطق من مكة المكرمة، بحيث يرى الجالس داخل الغار البيت الحرام بسهولة.

كان رسول الله ﷺ قبل البعثة يعتكف في هذا الغراء عدّة أيام من كلّ شهر، غيرشهر رمضان حيث كان ﷺ يعتكف فيه الشهر كلّه، يتأمّل في عظمة الله تعالى وجليل صنعه تعالى.

روي عن الإمام الهادي عليه السلام أنّه قال: لمّا ترك النبيّ ﷺ التِّجارةَ إلى الشَّام وتصدَّقَ بكلِّ ما رزقَهُ اللهُ تعالى منْ تلكَ التجاراتِ، كان يَغْدُو كُلَّ يومٍ إلى حِرَاءٍ، يَصْعَدُهُ وينظرُ مِنْ قُلَلِهِ إلى آثَارِ رحمة الله، وأنواع عجائبِ رحمتهِ، وبَدَائِعِ حكمتهِ، وينظرُ إلى أَطراف السَّمَاءِ وأَقْطارِ الأَرض والمفاوز والفيافي، فَيَعْتَبِرُ بتلكَ الآثَارِ ويَتَفكَّرُ بتلك الآيات، ويعبدُ اللهَ حقَّ عبادَتِه.

نزول الوحي على النبيّ ﷺ في غار حراء

لمّا بلغ النبيّ ﷺ الأربعين من عمره الشريف، وكان على عادته يعتكف في غار حِراء، هبط عليه أمين الوحي جبرئيل عليه السلام في اليوم السابع والعشرين من شهر صفر حاملا إليه البشارة بالنبوّة.

وقد وصف الإمام الهادي عليه السلام قصّة بعثة النبيّ ﷺ بقوله: فلمّا استكمل أربعين سنة من عمره، ونظر الله عزّ وجل إلى قلبه فوجده أفضل القلوب وأجلها، وأطوعها وأخشعها وأخضعها، أذن لأبواب السماء ففتحت، ومحمّد ﷺ ينظر إليها، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمّد ﷺ ينظر إليهم، وأمرَ بالرحمة فأنزلت إلى رأس محمّد وغمرته، ونظر إلى جبرئيل الروح الأمين المطوق بالنور هبط إليه، وأخذ بعضده وهزّه، وقال يا محمّد: إقرأ. فقال ﷺ: وما أقرأ؟ قال يا محمّد: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

ثم أوحى إليه رسالة ربّه، ثم صعد إلى العلو، ونزل محمّد ﷺ من الجبل وقد غشيه عظيم جلال الله.

وبعد أن تلقى النبيّ ﷺ الرسالة من جبرئيل عليه السلام انصرف من اعتكافه وهبط من الجبل، متوجها على عادته نحو الكعبة المشرّفة حيث طاف بها سبعة أشواط، ثم توجّه إلى منزل السيدة خديجة عليها السلام، وقد غشيته أنوار العظمة الإلهية والآيات الربانية، وتصبب جبينه عرقاً وسرت حرارة شديدة في بدنه الشريف فطلب من السيدة خديجة عليها السلام أن تضع له فراشه لأنه أحس بجسمه متعباً فنام، ليستيقظ من بعدُ إلى حياة روحية في غاية القوّة والصلابة، حاملا رسالة ربّه إلى البشر جميعاً.

الأسئلة

١. كيف تصف جبل النور وغار حراء الواقع فيه؟

٢. أين كان يعتكف النبيّﷺ قبل البعثة وكم هي المدّة التي كان يعتكف فيها؟

٣. متى بُعثَ النبيّﷺ؟ وكيفَ تلقى الرسالة؟

٤. ما هي أوّلُ الآيات التي نزلت على النبيّ محمّدﷺ؟

٥. ماذا فعل النبيّﷺ بعد نزوله من الغار؟

١٦

آيات عظمة النبوّة

بعد أن فرغ جبرئيلُ عليه السلام من تلاوة الآيات، نزل محمّدٌ صلى الله عليه وآله من الجبل وقد غشيه من تعظيم جلال الله، وورد عليه من كبير شأنه ما أصابه بسببه الحمّي والنافض... وقد اشتدّ عليه ما يخافه من تكذيب قريش في خبره ونسبتهم إيّاه إلى الجنون، وأنّه تعتريه الشياطين، وكان مِنْ أوّل أمره أعقلَ خلق الله، وأكرمَ بريته، وكان أبغضّ الأشياء إليه الشَّيطان وأفعال المجانين وأقوالهم، فأراد الله عزّوجلّ أنْ يشرح صدره، ويشدّ على قلبه، فأنطق الله الجبالَ والصخورَ والمدرَ، وكلّما وصل إلى شيءٍ منها ناداه: السلام عليك يا محمّد، السلام عليك يا وليّ الله، السلام عليك يا رسول الله، أبشر، فإنّ الله عزّوجلّ قد فضّلك وجمّلك وزيّنك وأكرمك فوق الخلائق أجمعين من الأولين والآخرين، فلا يحزنك تقولُ قريش إنّك مجنون.

الدعوة إلى الله

وبعد أنْ استقر النبيّ صلى الله عليه وآله وعرج جبرئيل إلى السماء بعد أن أبلغ الرسالة التي كلّف بها بإرسالها، انحدر رسول الله صلى الله عليه وآله من جبل حِراء، متوجها على عادته نحو الكعبة المشرفة حيث طاف بها سبعة أشواط، ثم توجّه إلى منزل السيدة خديجة عليها السلام، وقد غشيته أنوار العظمة الإلهية والآيات الربانية.

فلمّا رأت السيدة خديجة عليها السلام هالة النور تعلو محيّاه الشريف، سألته متعجبة: ما هذه السحابة من النور التي تغمرك، وما هو الجلال الرباني الذي غشيك يا ابن العم؟!

فقص النبيّ صلى الله عليه وآله القصة عليه، وأخبرها بما جرى، وأن جبرئيل الأمين عليه السلام هبط عليه في

غار حراء بالرسالة، وأنّه نبيُّ هذه الأمّة، ثم طلب منها أن تنطق الشهادتين (أشهد ألا إلا الله وأن محمّداً رسول الله) فنطق بها، وقد أغرقت عيونها بدموع الفرح، وقالت: هذه اليوم الذي طالما انتظرته منذ سنين طويلة.

وبعد أنْ استقر به المقام في بيته طلب من السيدة خديجة أن تضع له فراشه ليستريح، ولأنه يشعر بالبرد قال: دثروني، دثروني.

فما هي إلا لحظات حتى هبط عليه الوحي مرّة أخرى وهو نائم، فاستيقظ من نومه ليستمع إلى جبرئيل عليه السلام يقول له ـ وهو يحمل آيات سورة المدثر، طالباً منه صلى الله عليه وآله بأنْ يبلغ رسالة الله تعالى: ﴿يا أَيهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

وبهذا الأمر الإلهي بدأ عهد الرسالة والتبليغ العملي حاملا نور الهدى العظمى إلى البشرية كافّة.

البشارة في التوراة والإنجيل

عظم على خديجة ما رأت من حاله، وفرحت بما غمره من نور واستبشرت بانطلاقة الدعوة المباركة، فلبست خديجة جلبابها وانطلقت إلى ابن عمّها ورقة بن نوفل، وكان شيخاً كبيراً قد كفّ بصره، وكان على معرفة بالتوراة والإنجيل، وقيل أنه كان من المتألهين، فحكت عليه خديجة القصّة؟

فقال لها ورقة: لقد أنزل الله إليه خيراً عظيماً، هو الناموس الأكبر الذي أتى موسى وعيسى عليهما السلام بالرسالة والوحي.

ثم قال لها: قرأت في التوراة والإنجيل أنّ الله يبعث نبيّاً في هذا الزمان يكون يتيما فيؤويه الله، وفقيراً فيغنيه الله، وإنّه يمشي على الماء وتكلمه الموتى، وتسلّم عليه الحجارة وتشهد له الأشجار.

ثم قال: ليتني كنت بصيراً لأرى وجهه، وليتني كنت شاباً قويّاً لأبالغ في الدفاع عنه والجهاد بين يديه.

الأسئلة

١. ما الذي كان يخشاه النبيّ ﷺ من إعلان دعوته بعدما نزل عليه الوحي؟

٢. ما هي الأشياء التي شاهدها النبيّ ﷺ وهو منحدر من غار حِراء؟

٣. أذكر باختصار قصة إسلام السيّدة خديجة عليها السلام.

٤. ما هو النداء الذي سمعه النبيّ ﷺ بعد أن دثرته السيّدة خديجة؟

٥. ما هو جواب ورقة بن نوفل للسيّدة خديجة بعد أنْ عرضت عليه القصّة التي حصلت للنبي الأكرم ﷺ؟

١٧

الدعوة السرّية

كانت مكة والمناطق التي تقع على أطرافها تعيش أحلك أيامها ظلاماً، وكان الشرك وعبادة الأصنام، والفساد وقتل النفس المحترمة مستشريةً في تلك المناطق، مضافاً إلى الأمية والجهل بشتّى أنواعه كان هو المهيمن على تلك البلاد وسكانها، مما جعل الدعوة العامّة إلى الإسلام تواجه صعوبات جمّة تجعلها شبه مستحيلة في تلك الأيام، الأمرُ الذي يتطلّب من النبيّ صلى الله عليه وآله أنْ يفكّر بخطة أخرى لنشر الدعوة، وذلك من خلال تشكيل نواة مركزية وإعداد قاعدة مؤمنة ومجموعة قوية من الرساليين المضحين.

ومن هنا قرر النبيّ اعتماد الدعوة السرّية وإستمرّيدعو إلى دينه في الخفاء مدّة ثلاثة أعوام لبناء تلك الكوادر وإعدادها، وتأجيل الدعوة العامّة إلى حين توفر الظروف المناسبة لها، لأنّ واقع المجتمع وهيمنة رؤساء القبائل وامتلاكهم المال والسلاح في ذلك الوقت، يوجب أنْ يكتفي بالاتصالات الفردية السِّرية ويدعو أشخاصاً معينين إلى دينه.

وقد حققت الدعوة السرِّية نجاحاً كبيراً وتمكنت من أنْ تجذب إلى الدّين الإسلامي جماعة من المؤمنين من الرجال والنساء، وكان في مقدمة النساء السيّدة خديجة عليها السلام، وفي مقدمة الرجال علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لقربه من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وتأثره بأخلاقه الحميدة التي لمسها عن قرب طيلة الفترة الطويلة التي كان يلازمه فيها ملازمة الظل لذي الظل أينما حلّ وحيثما رحلَ، حتى في غار حِراء حيث كان يقوم بمهمة إيصال الطعام والشراب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أيام اعتكافه.

بل كان الإمام علي بن أبي طالب يعيش في بيت النبيّ صلى الله عليه وآله منذ طفولته ويشم ريح

النبوّة وعطر الرسالة قبل أن يبعث النبيّ صلى الله عليه وآله، فمن هنا سارع إلى التصديق بالنبيّ صلى الله عليه وآله والإيمان برسالته فكان أوّلَ الرجال أسلاماً.

وقد ذكر المؤرخون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يصلّي جماعةً في تلك الفترة، في بيته تارة وفي الصحراء تارة أخرى وفي الجبال أحياناً أخرى، وكان عليّ عليه السلام يقف عن يمينه، وخديجة عليها السلام تقف من ورائهما.

وصية أبي طالب عليه السلام

يروى أنّ أبا طالب رأى النبيّ صلى الله عليه وآله في إحدى الأماكن السرّية وهو يصلي ومن خلفه علي وخديجة ‘، فقال: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟

فقال صلى الله عليه وآله: إنّه دين الله وملائكته ورسله ودين إبراهيم الخليل عليه السلام. فَسُرَّ أبو طالب وقال لابنه علي عليه السلام: ألزم ابن عمّك، أما أنّ محمّداً لا يدعو إلا إلى خير، فلا تفارقه.

وروي أنّ أبا طالب رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام يصليان وعليّ عن يمينه، فقال لابنه جعفر وكان معه: صِل جناح ابن عمّك وصلِّ عن يساره، فوقف جعفر يصلي إلى يسار رسول الله صلى الله عليه وآله. فلمّا رأى أبو طالب عليه السلام ذلك المنظر الجميل فرح كثيراً والبشر يعلو وجهه المبارك، فانشد قائلا:

إنّ عليـــاً وجعفـــراً ثقـــتي ... عنـــد ملـــمّ الزمـــان والنـــوب

لا تخـــذلا وانـــصرا ابـــن عمّكمـــا ... أخـــي لأُمّـــي مـــن بيـــنهم وأبي

والله لا أخـــــذل النـــــبيّ ولا ... يخذلـــه مـــن بـــنيّ ذو حـــسب

الصلاة العلنية

رويداً رويداً أخذ خبر البعثة النبوية ينتشر في أرجاء مكة المكرمة، فقرر النبيّ صلى الله عليه وآله أنْ يؤدي صلاة الجماعة في المسجد الحرام، وذلك بعد أن يسبغ الوضوء من ماء زمزم فيغسل وجهه ويديه بطريقة خاصّة ثم يمسح على رأسه ورجليه، وكان أهلُ مكة والمسافرون القادمون إلى الحرم يرون هذه الصورة ويتعجبون منها.

روى المؤرخون عن عفيف بن قيس عن أبيه، قال: كنت في الجاهلية عطاراً فقدمت مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب (عم النبيّ)، فبينا أنا جالس عنده أنظر إلى الكعبة، أقبل رجل فدنا من الكعبة فصف قدميه يصلي فخرج على أثره فتى فقام عن يمينه فجاءت امرأة متلفعة في ثيابها فقامت خلفهما. فقلت للعباس: هذا أمر عظيم، ما هذا الدين؟

فقال العباس: هذا الرجل ابن أخي، محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب، وهذا الفتى ابن أخي علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، وتلك المرأة خديجة ابنة خويلد زوج محمّد هذا، وإن محمّداً هذا يذكر أنَّ إلهه إله السماء والأرض أمره بهذا الدين فهو عليه كما ترى.

ثم قال العباس: والله ما أعلم على وجه الأرض كلّها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة، وإنّ ابن أخي محمّداً يزعم أن كنوز كسرى (ملك إيران) وقيصر (ملك الروم) ستُفتح عليه.

الأسئلة

١. لماذا اختار النبيّ ﷺ الدعوة السرية خلال السنين الثلاث الأولى من بعثته؟

٢. لماذا كان علي بن أبي طالب عليه السلام أوّل المؤمنين بالرسول ﷺ من الرجال؟

٣. أين كان النبيّ ﷺ يصلي في السنين الثلاث الأولى؟ ومن كان يصلي خلفه؟

٤. بماذا أوصى أبو طالب عليه السلام ولديه عليا وجعفراً؟

١٨

إسلام أبي ذر الغفاري

كان أبو ذر خامسَ الداخلين في الدين الإسلامي والمؤمنين برسالة النبيّ ﷺ، وقد وصف أبو ذر طريقة إسلامه والسبب الذي دعاه إلى الإيمان بالنبيّ ﷺ، قائلا:

كان لي صنم أسجد له صباحاً ومساءً، وفي يوم من الأيام حلبت الشاة ووضعت أمامه قعباً من اللبن، ولمّا ابتعدت عن الصنم قليلا جاء كلبٌ فشرب اللبن ثم رفع رجله وبال على الصنم، فأيقظتني تلك الحادثة، وقلت في نفسي: من الحماقة عبادة ربٍ لا يدفع عن نفسه الكلب.

وفي تلك الأيام تناهى إلى سمعي بعثة رسول في مكة المكرمة، فحزمت أمتعتي وتوجهت صوب مكة للقاء ذلك النبيّ راكباً ناقتي مسرعاً بالسير نحو تلك الديار.

ولمّا وصلت إلى مكة خشيت أن أسأل أحداً عن شيءٍ قبل أن ألتقي بالرسول ﷺ، فأدركني الليل فبتُّ في ناحية المسجد، وهكذا فعلت في الليلة الثانية لعلي أجد طريقا يوصلني إلى ما أبتغيه.

وفي اليوم الثالث وبينما أنا أفكر في أمري، وإذا بفتى جميل المحيّا باسم الثغر تعلو وجهه سحابة من البشر ـ وكان ذلك الفتى علي بن أبي طالب ـ دنا منّي فأخبرته بسرّي وأنّي أريد أنْ التقي بهذه الرجل المبعوث نبيّاً.

فقال لي: اتبع أثري، فإذا رأيتُ ما أخافه عليك إعتللت بالتشاغل بعمل ما ثم التحق بك حتى أوصلك، وإن لم أر أحداً فاتبع أثري وادخل البيت الذي أدخله.

ففعلت ما أمرني به ذلك الفتى حتى دخلت على أثره على النبيّ ﷺ فإذا النور يشعُّ من كلّ جوانبه وتعلو وجهه الهيبة والوقار، فأخبرته الخبر، وسمعت قوله ﷺ فأسلمت من ساعتي.

أبو ذر يعلن إسلامه

بعد أنْ التقى أبو ذر بالرسول صلى الله عليه وآله وآمن به وبرسالته، قال له: يا نبيَّ الله بماذا تأمرني؟

فقال صلى الله عليه وآله: ترجعُ إلى قومك تدعوهم إلى الإسلام حتى يبلُغك أمري.

فقال له أبو ذر: والذي نفسي بيده لا أرجع حتى أصرخ بالإسلام في المسجد.

قال صلى الله عليه وآله: إنّي أخاف عليك أن تقتل.

قال: لا بد منه وإن قُتِلتُ.

ثم دخل المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً عبدهُ ورسوله.

فما إنْ دوّى صوت أبي ذر في المسجد حتى قام إليه رجال قريش، وهجموا عليه من كلّ جانب وضربوه بشدّة حتى صرع، فأتاه العباس بن عبد المطلب فأكبّ عليه محاولا إنقاذه من الموت ـ بطريقة ذكية ـ قائلا: قتلتم الرجل يا معشر قريش، أنتم تجار وطريقكم على قبيلة غفار التي ينتمي إليها أبو ذر، فهل تريدون أنْ يقطع الطريق على تجارتكم؟، فأمسكوا عنه.

ونجحت محاولة (العباس) بإنقاذه، وكفّت قريش عن أبي ذر.

ثم كرر أبو ذر الغفاري النداء في اليوم الثاني معلنا عن إسلامه في الكعبة وعاد عليه القوم بالضرب حتى القوه والدماء تنزف من بدنه إلى جانب صخرة قريبة في المسجد، فلمّا عادت له قواه واستراح من الضرب الشديد قرر العودة إلى موطن قبيلته فلمّا رأته زوجته على هذه الحالة سألته عن الجروح والدماء التي تعلو جسده؟ فلم يجبها حتى فرغ من تحطيم الصنم الموجود في بيته، فكان أوّل عمل قام به هو تهشيم ذلك الصنم بحديدة كانت عنده، وبعد أن تهاوى الصنم، قصَّ الحكاية على زوجته فآمنت هي الأخرى بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

الأسئلة

١. ما هي الحادثة التي جعلت أبا ذر يرفض عبادة الأصنام؟

٢. من الذي أرشد أبا ذر إلى منزل النبيّ صلى الله عليه وآله؟ وكيف وصف أبو ذر النبيّ؟

٣. ماذا قال النبيّ صلى الله عليه وآله لأبي ذر بعد أن آمن بالرسالة؟

٤. لماذا غضب القرشيون على أبي ذر؟ ومن هو الشخص الذي أنقذه من أيديهم؟ وكيف؟

٥. ما هو أوّل عمل قام به أبو ذر عندما رجع إلى قبيلته؟

١٩

النبيّ صلى الله عليه وآله في بيت الأرقم

الأرقم بن أبي الأرقم، واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد القرشي المخزومي، كان من أثرياء قريش ومن السابقين الأوّلين إلى الإسلام، حيث أسلم سرّاً، وهو الذي استخفى رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنون به في داره الواقعة في جبل الصفا المقابل للمروة اللذين يسعى بينهما الحجاج عند أدائهم لمناسك الحج.

وكان السبب في انتقال النبيّ صلى الله عليه وآله والمسلمين إلى دار الأرقم، إنّ المسلمين الأوائل بعد آن آمنوا صاروا يخرجون إلى الشعاب والجبال خارج مكة لأداء الفرائض، وإقامة الشعائر، فأخذ بعض المشركين يطاردهم ويترصدهم، ويتعمد إيذاءهم، فوقعت صدامات فردية بين الطرفين. وقد سجّل المؤرخون الكثير من تلك المواجهات، منها:

خرج جماعة من المسلمين إلى شعاب مكة للصلاة، فظهر عليهم نفرٌ من قريش كانوا يرصدونهم، ويتبعون آثارهم، وهم يصلون؛ فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون، حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذٍ رجلاً من المشركين بلحى[1] بعير، فشجه، فدفعت هذه الحادثة الجزئية وغيرها النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الموافقة على اختيار دار الأرقم ـ بعد أنْ عرض الأرقم ذلك على النبيّ ـ الواقعة على الصفا ليجعلها مركزاً لدعوته، ومحلاً لاجتماع أصحابه به، والابتعاد عن أنظار المشركين حين أداء مراسم العبادة والشعائر الإيمانية، بدلاً من الخروج إلى الشعاب والتعرّض لأذى المشركين.

وبينما كان المؤمنون يتعبدون في دار الأرقم، وبعد مرور شهر كامل بلغ عددهم أربعين رجلا،

---

١. اللحى: العظم الّذي على الفخذ، و هو من الإنسان: العظم الّذي تنبت عليه اللحية.

في تلك الأثناء أخذ عمر بن الخطاب سيفه فتوشّحه، ثم توجّه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين المجتمعين في درا الأرقم، فضرب عليهم الباب، فلمّا سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فنظر من خلال فتحة الباب فرآه متوشّحا السيف، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله!!

فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطّاب متوشّحا السيف!

فقال حمزة بن عبد المطّلب: فأذن له، فانْ كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإنْ كان (جاء) يريد شرّا قتلناه بسيفه.

الدعوة العلنية

في السنّة الثالثة للبعثة الشريفة نزلت الآيتان الرابعة والتسعون والخامسة والتسعون من سورة الحجر تأمر النبيّ صلى الله عليه وآله بالإعلان عن الدعوة المباركة: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ وما إنْ تلقى النبيّ صلى الله عليه وآله الأمر من جبرئيل حتى سارع لامتثال الأمر الإلهي، فصعد جبل الصفا، وجعل ينادي: يا صباحاه، يا بني فهر، يا بني عدي، يا بني عبد المطلب، وذكر الأقرب فالأقرب حتى اجتمعوا بين يديه؛ لأنّ من عادتهم أنّه لا ينادي أحدٌ بنداء (يا صباحاه)، إلا لأمر خطير يهم الجميع، فإذا سمعوها تقاطروا ليسمعوا ماذا يقول المنادي، ولينظر إليه ما يريد، فقال النبيّ:

أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً تخرج من سفح الجبل تريد أنْ تغير عليكم أكنتم مصدّقيَّ؟

فقالوا: بلى والله، ما جربنا عليك كذباً.

فقال: إنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

فقال أبو لهب رافعا عقيرته وبصوته الشيطاني: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟

فتفرّق القوم عنه، ورجع أبو لهب إلى داره والسرور يملأ فؤاده ونشوة النصر تملأ جوانحه حيث أحسّ بأنّه أطفأ نار حسده للنبي صلى الله عليه وآله بهذه الكلمات التي فرّقت الناسَ عن النبيّ صلى الله عليه وآله فلم تسمع منه نداءه، ولم تصغ لتحذيره لهم من عذاب الله.

الأسئلة

١. من هو الأرقم بن أبي الأرقم وما هو السبب الذي دعاه ليطلب من النبيّ والمؤمنين الانتقال إلى داره للتعبّد هناك؟

٢. كم بقي النبيّ الأكرم ﷺ يتعبّد في دار الأرقم؟ ومتى خرجوا من تلك الدار؟

٣. ما هي الرسالة التي تحملها الآيات ٩٣ و٩٤ من سورة الحجر؟ وفي أيِّ سنة نفذ النبيّ ﷺ ذلك الأمر؟

٤. ماذا فعل النبيّ ﷺ بعد أنْ صدر له الأمر الإلهي بالإعلان عن الدعوة؟

٥. من هو الشخص الذي اعترض على دعوة النبيّ العلنية؟ وماذا قال؟

٢٠

المضطهدون

أخذ النبيّ ﷺ يدعو الناسَ علانية، ويحثّهم على دخول الإسلام، وكان يستغلُّ المناسبات ويغتنم الفرص لتبليغ الدعوة الإسلامية ونشرها في أوساط الجزيرة العربية عامّة، وفي مكة المكرمة خاصّة، فكان يذهب إلى كل من سوق عُكاظ وذي المجاز ويلتقي بجموع الناس الغفيرة التي تمارس نشاطها التجاري هناك، ويدعوهم إلى الإيمان مناديا بصوت عالٍ: قولوا لا إله إلا الله.

وقد كان ﷺ يتلقى بسبب حركته هذه الكثير من الأذى وتوجّه له الإساءة تلو الإساءة من قبل المشركين، فقد روي عن طارق المحاربي أنّه قال: بينا أنا بسوق ذي المجاز،[1] إذ أنا برجل يقول: إيّها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا.

وإذا برجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبيه،[2] ويقول: يا أيّها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه!!

فقلت: من هذا؟

فقالوا: هو محمّد، يدعو الناس إلى التوحيد، وهذا عمّه أبو لهب يزعم أنّه كذّاب.

وقد واصل المشركون تعذيب المؤمنين بالرسالة أينما وجدوهم، وكان النبيّ ﷺ كلمّا سمع أنّه عُذِّب أو أوذيَ أحدٌ في سبيل دعوته تألّم وتأثّر كثيراً لذلك الموقف الصعب والآلام والغصص التي يتجرعها المؤمنون، ولربمّا فاضت عيناه بالدموع.

ولم يقتصر التعذيب على المؤمنين بلْ كانت قريش تتعرض للنبي بالذات، وكان بعض

---

١. ذو المجاز سوقا من أسواق العرب يقع في الجهة اليمنى من منطقة عرفة في مكة المكرمة.

٢. العُرْقُوب: هو العصب الغليظ فوق عقب رِجْل الإنسان.

الكفّار يلطّخون داره صلى الله عليه وآله بالأقذار ويلقونها في فناء داره، بلْ كان البعض منهم يرميه بالحجارة والأشواك وهو يتلو القرآن في داره. وكانت السيّدة خديجة تشاهد امرأة أبي لهب المعروفة بأمّ جميل وهي تحمل حُزَمَ الحطب والأشواك لتلقيها خفية في دار النبيّ صلى الله عليه وآله ثم تولي هاربة عن الأنظار، حتى نزلت سورة المسد في ذمها وذم زوجها أبي لهب:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * تَبَّتْ يدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾.

زعماء قريش يفاوضون أبا طالب عليه السلام

لمّا أظهر رسولُ الله صلى الله عليه وآله الدّعوة بمكّة لم يستجب له زعماء قريش ورؤساؤهم، بلْ صمّموا على الوقوف بوجهها والتصدّي لها ووضع العراقيل في طريقها، فأجتمع رؤساء المشركين من قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب إنّ إبن أخيك قد سفّه أحلامنا، وسبّ آلهتنا وأفسد شبابنا، وفرّق جماعتنا فإنْ كان الّذي يحمله على ذلك الفقر وعدم المال، جمعنا له مالاً حتّى يكون أغنانا ثروة، وإنْ كان يطلب به الشّرف فينا فنحن نسوّده فينا، وإنْ كان يريد مُلكاً ملكناه علينا، وإنْ كان يريد الزواج زوجناه خيرةَ بناتنا!!.

حينئذ دعا أبو طالب محمّداً صلى الله عليه وآله وأخبره بمقالة القوم وما عرضوه عليه.

فقال صلى الله عليه وآله: يا عم! والله، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أنْ أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله أو أهلك فيه.

ولما وجد زعماء قريش أنّ محاولتهم الأولى لم تنجحْ في منع النبيّ صلى الله عليه وآله مشوا إلى أبي طالب عليه السلام مرّة ثانية، فقالوا: يا أبا طالب! إنّ لك سناً وشرفاً ومنزلةً فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا، وإنّا والله لا نصبر على شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، فإمّا أنْ تكفه عنّا أو ننازله وإياك حتى يهلك أحدُ الفريقين. ثم انصرفوا.

فعظم على أبي طالب ذلك ولم تطب نفسه بخذلان ابن أخيه، فردهم قائلا:

كذبتم وبيت الله نسلم أحمداً ولمّا نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل

الأسئلة

١. من هي الشخصية التي كانت أشدَّ إيذاءً للنبيﷺ؟ وكيف كان يؤذيه؟

٢. كيف كان يدعو النبيّﷺ في سوق عُكاظ وذي المجاز؟

٣. من هم الأشخاص الذين ذمهم الله تعالى في سورة المسد؟ وكيف؟

٤. ما هو مقترح المشركين الذي عرضوه على أبي طالب؟ وما هو جواب النبيّﷺ وأبي طالب؟

٢١

دعوة عشيرته الأقربين إلى الإسلام

في السنة الثالثة للبعثة نزل قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ يأمره ﷺ بدعوة العشيرة والأقربين من رهط رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقرر النبيّ ﷺ إمتثالَ الأمرِ الإلهي بدعوة أبناء عبد المطلب جميعاً ـ أعمامه وأبناء أعمامه ـ إلى بيت عمّه أبي طالب عليه السلام.

وقد اتسمت طريقة رسول الله ﷺ في دعوة عشيرته الأقربين باللطافة والذكاء، حيث أمر ﷺ الإمامَ علي بن أبي طالب الذي كان آنذاك في ربيعه الثالث عشر، وأمره بأنْ يُعدَّ طعاماً وقعباً من لبن، وقال له: اصنع لنا طعاما رجل شاة على صاع من الطعام،[1] وكان هذا المقدار من الطعام لا يكفي لإطعام رجلٍ واحد منهم.

ثم دعاهم ﷺ وكانوا أربعين رجلاً من أسرة بني هاشم ووجوههم، فلمّا جاءت المجموعة الأولى منهم وكانوا عشرة رجال ورأوا قلّة الطعام المصنوع، ضحكوا من قلة الزاد، وقالوا: يا محمّد إنّ طعامكم لا يكفي لإشباع رجلٍ واحد منا، فكيف تطعم به أربعين من قومك؟!!

فلمّا اكتمل توافد القوم إلى الدار، قال النبيّ ﷺ: كلوا باسم الله، فأكل القوم حتى نهلوا منه، فما رؤي إلا آثار أصابعهم وبقي الطعام على حاله. ثم قال رسول الله: اسقهم يا علي، فسقاهم من ذلك القعب فشربوا حتى نهلوا جميعا، وكان الرجل ليشرب مثله.

فلمّا فرغ القوم من تناول الطعام والشراب، عزم النبيّ ﷺ على أن يبوحَ لضيوفه ويكشف لهم من أمر رسالته ما أمره الله به، إلا أنّه ـ وللأسف ـ ما أنْ أنتهى القوم من الطعام حتى بادر أبو لهبٍ فتكلّم بكلمات سخيفة، وقال لقد سحركم محمّد.

---

١. الصاع يساوي اليوم ثلاث كيلوغرامات.

فقال صلى الله عليه وآله: الحمد الله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إنّي لرسول الله إليكم خاصّة وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءاً وإنّها للجنة أبداً أو النار أبداً، وإنّكم لأوّل من أنذر، ومثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله فخشي أنْ يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه.

فقال أبو لهب: يا بني عبد المطلب هذه والله السوءة امنعوا محمّداً قبل أن يمنعه غيركم، فإنْ منعه غيركم وأسلمتموه حينئذ ذللتم، وإنْ منعتموه وحاربتم الناسَ قتلتم.

فقال أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا.

ثم تفرّق القوم.

النبيّ صلى الله عليه وآله يدعو عشيرته مرّة أخرى

وفي اليوم الثاني قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي عُدْ لنا بمثلِ الذي صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب، فانَّ الرجل ـ يعني أبا لهب ـ بدرني وسبق إلى الحديث قبل أنْ أُكلمَ القومَ، ففعل علي عليه السلام ما أمر به الرسولُ صلى الله عليه وآله فأكلوا وتكررت المعجزة التي حدثت في اليوم السابق.

وقبل أن يبدأ أحد منهم بالحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وإنّ ربّي أمرني أنْ أدعوكم، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيتي وخليفتي فيكم؟

فأحجم القوم عنها جميعا، وخيّم السكوتُ على المجلسِ، فقام عليٌّ عليه السلام وكان أصغرهم سنّاً، فقال:

محطماً بكلماته الشجاعة ـ جدار الصمت والذهول ـ: أنا يا رسولَ الله أكونُ وزيرك على ما بعثَك الله.

فقال له رسولُ الله ﷺ: إجلسْ، ثم كرّر ﷺ دعوته ثانية وثالثة، وفي كلِّ مرَّة يحجم القومُ عن تلبية مطلبه، ويقوم (عليّ) ويعلن عن استعداده لمؤازرة النبيّ، ويأمره رسولُ الله بالجلوس، حتى إذا كان في المرّة الثالثة أخذ رسول الله بيده والتفت إلى الحاضرين من عشيرته الأقربين وقال: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكُم فاسمعُوا لهُ، وأطيعُوا.

فقام أبو لهب وقال لأبي طالب مستهزئاً: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع!!!

فلمّا رأى أبو طالب عليه السلام موقف أخيه أبي لهب اللا إنساني، واللا معقول، قال له: يا عورة، والله لننصرنه، ثم لنعيننه.

ثم التفت إلى النبيّ ﷺ قائلا: يا ابن أخي، إذا أردت أنْ تدعو إلى ربّك فأعلمنا، حتى نخرج معك بالسلاح.

انظروا أيها الأحبة إلى موقف الرجلين أبي طالب وأبي لهب وهما عمّا رسول الله ﷺ، وكيف تسامى أبو طالب بمواقفه النبيّلة دفاعاً عن الرسول والرسالة حتى الرمق الأخير من حياته الشريفة، وكيف تسافل عمّه الثاني أبو لهب وانحدر إلى الحضيض في مواقفه المعادية للدعوة حتى نزلت في ذمّه سورة المسد ﴿تَبَّتْ يدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * ...﴾.

نسأل الله حسن العاقبة والسير على هدى النبيّ وأهل بيته ﷺ.

الأسئلة

١. ما هي الآية التي أمر بها النبيّ صلى الله عليه وآله بأنْ يدعو عشريته الأقربين؟

٢. ماذا طلب النبيّ صلى الله عليه وآله من علي عليه السلام أن يفعل لدعوة الأقربين؟

٣. ما هي المعجزة التي حصلت في ذلك الاجتماع والتي تثبت صدق نبوّة الرسول صلى الله عليه وآله؟

٤. ما هو موقف الكافرين في الاجتماع الأوّل؟ وما هو موقف أبي لهب؟

٥. ماذا قال النبيّ صلى الله عليه وآله في الاجتماع الثاني؟

٦. ماذا قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام حينما استجاب لدعوته وقبل أن يكون وزيراً له؟

٧. ماذا قال أبو لهب لأبي طالب؟ وما هو ردّ أبي طالب عليه؟

٢٢

اشتداد المواجهة، والمدافعون عن النبيّ صلى الله عليه وآله

بعد أنْ يئس زعماء قريش من ثني النبيّ صلى الله عليه وآله عن دعوته المباركة وفشلت المفاوضات بين الطرفين، ورأوا مواصلة النبيّ صلى الله عليه وآله لدعوته العلنية، سلكوا طريق الأذى والتعذيب، ليصدّوا الناس عن اتّباع الدين الجديد. وقد سجّل التاريخ الإسلامي الكثير من تلك المواقف القاسية والشديدة ضدّ النبيّ صلى الله عليه وآله، منها: بينما كان النبيّ صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد، ألقى المشركون عليه سلى[1] ناقة فملأوا ثيابه بها، فدخله من ذلك ما شاء الله، وتألم كثيراً، فذهب إلى عمّه أبي طالب فقال له: يا عمّ كيف ترى حسبي فيكم؟ وما هي مكانتي عندكم؟

فقال له أبو طالب: وما الذي حدث يا ابن أخي؟

فأخبره صلى الله عليه وآله بما حدث، فشهر ابو طالب سيفه ودعا حمزة وقال له: خُذْ السلى، ثم توجّه إلى القوم، والنبيّ صلى الله عليه وآله معه فأتى قريشاً وهم مجتمعين حول الكعبة، فلمّا رأوه عرفوا الشرَّ في وجهه وأنَّ أبا طالب غضب غضباً شديداً من فعلتهم النكراء هذه، فهمّوا بالتفرّق عن مجلسهم والذهاب إلى بيوتهم، إلا أنّ أبا طالب قال لحمزة: أَمِرْ السلى على سبالهم، ففعل ذلك حتى أتى على آخرهم،[2] ثم التفت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا ابن أخي هذا حسبك فينا.

ومنها: إنَّ أبا جهل مرَّ برسول الله صلى الله عليه وآله وهو في منطقة الصفا، فآذاه وشتمه ونال منه ببعض ما يُكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يكلّمه رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنع الشباب المؤمنين من الردّ على أبي جهل لأنّه صلى الله عليه وآله لم يؤمر بَعْدُ بالمواجهة، بل كان مأموراً بالمداراة واللطف معهم.

---

١. السلى: هو الكيس الذي يكون فيه الجنين وهو في بطن أمّه.

٢. أي حتى انتهى من وضع السلى على سبالهم جميعا.

ولمّا حان وقت العصر من ذلك اليوم أقبل حمزة بن عبد المطلب متوشحاً قوسه راجعاً من قنص[1] له، وكان حمزة عليه السلام إذا رجع من قنصه لم يذهب إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على ناد من قريش إلا وقف وسلّم وتحدّث معهم، وكان أعزَّ فتى في قريش، وأشدّهم شكيمة.

وعندما همَّ حمزة بالعودة إلى داره أسرعت إليه جارية عبد الله بن جُدعان وقالت له: يا أبا عمارة (وتلك هي كنيته) لو رأيت ما لقي ابنُ أخيك محمّد آنفاً من أبي الحكم بن هشام (وتعني أبا جهل)، حيث وجده ها هنا جالساً فآذاه وسبّه، وبلغ منهُ ما يُكرهه، ثم انصرف عنه ولم يكلّمه محمّد صلى الله عليه وآله.

فغضب حمزة لذلك، فخرج يسعى ولم يقف على أحد مُعِدّاً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به.

فلمّا دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأس أبي جهل، قال له:

سمعت أنّك شتمت ابن أخي وأسأت له كثيراً؟!!

فلم يجبه أبو جهل وظل صامتا لا يدري بماذا يردّ على ذلك البطل الواقف على رأسه.

ولمّا لم يسمع حمزة من أبي جهل جواباً مقنعاً، رفع القوس فضربه بها فشجّهُ شجّة منكرة.

وكانت الضربة بدرجة من القوّة إنها أسقطت هيبة أبي جهل وجعلته يطأطئ الرأس ذليلاً أمام أسد الله حمزة بن أبي طالب.

ولم يكتف حمزة بذلك بل صدح بأعلى صوته معلناً عن إسلامه وأنّه على دين ابن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله، قائلا: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول. فردَّ ذلك عليَّ إنْ استطعت؟!

فقامت رجال من بني مخزوم ـ عشيرة أبي جهل ـ إلى حمزة لينصروا أبا جهل.

فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فانّي قد سببتُ ابن أخيه سبّاً قبيحاً.

ومن هنا أدرك مشركو قريش أنَّ محمّداً صلى الله عليه وآله يحظى بحماية كبيرة من قبل كلّ من عمّه أبي طالب وحمزة فلم تجرؤ قريش على المساس به صلى الله عليه وآله. فكان بمكة لم يجسر عليه أحدٌ لموضع

---

١. القنص تعني الصيد.

أبي طالب، فلمّا توفي أبو طالب عليه السلام أغرت قريش به الصبيان، وكانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يرمونه بالحجارة والتراب، فلمّا علم علي عليه السلام بذلك قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأبي أنت وأُمي يا رسول الله إذا خرجت فأخرجني معك، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه علي عليه السلام فتعرّض الصبيان لرسول الله صلى الله عليه وآله كعادتهم، فحمل عليهم علي عليه السلام وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم فكان الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضمنا علي، قضمنا علي.

الأسئلة

١. أذكر نموذجين من أذى المشركين للرسول الأكرم ﷺ؟

٢. من هم أهم الرجال المدافعين عن الرسول ﷺ؟ اذكر نموذجين من حمايتهم له ﷺ؟

٢٣

تعذيب الضعفاء من المسلمين

تعرّض المسلمون للكثير من أنواع التعذيب والاضطهاد من قبل المشركين، ومن أبرز من سجّلَ التاريخ المحن والمصاعب التي تعرضوا لها وأنواع العذاب الذي صبّ عليهم، كلٌّ من:

ياسر وسميّة

ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة والد عمار، كان حليفا لبني مخزوم، وكان قدم من اليمن، فحالف أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي، وَزَّوَجهُ أبو حذيفة أمةً له اسمها سميّة، فولدت له عمارًا وولداً آخر، وكانت ولادة عمار بن ياسر في نفس العام الذي ولد فيه النبيّ الأكرم ﷺ وهو العام المعروف بعام الفيل. وكان (عمار) ووالده من السابقين إلى الإسلام، وعندما عرف المشركون بانضمامهم إلى صفوف المسلمين عمدوا إلى إيذائهم وتعذيبهم ولم يألوا جهداً في ذلك أبداً..

وكان أبو جهل رئيس بني مخزوم، معانداً في رفض الرسالة والإساءة إلى من آمن بها، وكان يقول: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف ـ جد النبيّ ـ الشرفَ، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنّا كفرسي رهان. قالوا: منّا نبيّ يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدّقه.

فلمّا أعلن آل ياسر (ياسر وسمية عمار وعبد الله) عن إسلامهم غضب أبو جهل غضباً شديداً وثارت ثائرته، كيف يصح لأمةٍ من إماء بني مخزوم أنْ تعلن الإسلام هي وزوجها وأبناؤها، فقرروا إنزال العذاب بهم، وكان المشرفُ على تعذيبهم أبا جهل بن هشام، وكان يتفنن في تعذيبهم كيفما لذَّ له وشاء، وهو يرجو بذلك أن ينتزع منهم البراءة من الإسلام والرجوع إلى عبادة الأوثان.

ولم يكن أمر التعذيب مقتصراً على أبي جهل، بل كان يساعده في ذلك رجال من عشيرته، وكان عمر ياسر وسميّه قد تجاوز السبعين سنة.

فكان المشركون يخرجون (عماراً) وأباه (ياسراً) وأُمّه (سميّة) في وقت الظهيرة إلى رمضاء مكة ليقضوا ساعات طويلة تحت أشعة الشمس الحارقة، وفوق الرّمال الملتهبة والصخور المتّقدة كأنها الجمرات، وكانوا يلبسوهم أدراع الحديد ثم يصهروهم في الشمس، فبلغ منهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ من حرِّ الحديد والشمس، كلّ ذلك نكاية في التعذيب، وقد يلقونهم في المياه الآسنة ويهددونهم بالإغراق مبالغة في التعذيب.

وقد بقيت أثار التعذيب على جسد عمّار ومعصميه إلى حين وفاته بعد خمسين عاماً من البعثة تقريباً.

وقد واصلت قريش تعذيبهم مرّات عديدة حتى أودى في نهاية الأمر بحياة (ياسر) فقضى نحبّه شهيداً وهو على تلك الحال من التعذيب والاضطهاد.

وقد خاشنت زوجتُه (سُميّة) أبا جهل وكلمته بعد استشهاد زوجها ياسر بغليظ القول، فطعنها اللعين برمح في قلبها فقضت ـ هي الأُخرى ـ نحبّها، وكانا أوّلَ شهيدين في الإسلام.

وقد تألّمَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله لما شاهده من حالهما وهما يعذّبان بأشدّ أنواع العذاب، فقال لهُما ولولدهما (عمّار) وهو يصبّرهم، والدموع تنحدر على خدّيه: صبراً آلَ ياسِر فانّ موعدكم الجنة.

خَبّاب بن الأرت

خبّاب بن الأرت، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله كان حداداً بمكة يعمل السيوف، وهو من السابقين إلى الإسلام، وكان ممّن ناله العذاب في سبيل الله تعالى.

وكان عندما يحدث عن أنواع العذاب التي تعرض لها وحوادث ما قبل الهجرة النبوية يكشف عن ظهره ليرى فيه الحاضرون آثار التعذيب، حيث كان الكفار طلبوا منه الارتداد عن الإسلام فصبر وقاوم ولم يستجب لهم، فجعلوا يلزقون ظهره بالحجارة المحماة بالنار حتى ذهب لحم متنه.

ولمّا سأله أحدُ الصحابة عمّا لقي من المشركين، قال: انظر إلى ظهري، فنظر فقال ذلك الصحابي: ما رأيت كاليوم ظهر رجل!!.

فقال خباب: لقد أوقدت نار، وسُحِبْت عليها، فما أطفأها إلا دسومة لحم ظهري.

وكان المشركون كالوحوش الكاسرة يتفننون في تعذيبه وإنزال ألوان العذاب والأذى به، ولكنّهم لا يسمعون منه إلا ترنيمته المحببة إلى قلبه: (لا إله إلا الله محمّد رسول الله) تملأ أسماعهم، وتزعزع كيانهم، وتسقط كبرياءهم الزائف أمام الجسد الضعيف الملقى على رمضاء مكة وبين صخورها.

الأسئلة

١. ما هو موقف أبي جهل من الإسلام؟ وماذا كان يقول حول بعثة النبيّ الأكرم ﷺ؟
٢. من هم أوّل الشهداء في الإسلام؟ وكم كان عمر كل واحد منهما؟ ومَنْ الذي قتلهما؟
٣. اذكر أنواع العذاب التي مارسها أبو جهل بحق آل ياسر.
٤. بماذا بشر النبيّ ﷺ آل ياسر؟
٥. كيف استشهدت سميّة؟
٦. كيف وصف الخباب بن الأرت تعذيب المشركين له؟

٢٤

الهجرة إلى الحبشة (القسم الأوّل)

إشتدّت قسوة قريش، وإزداد حنقهم على المسلمين وتضاعف ظلمهم وبطشهم بهم فأخذوا يتفنون في ألوان العذاب التي يصبونها على المؤمنين بالرسالة. وكانت السنة الخامسة للبعثة من السنين التي شهدت تزايد محنة المسلمين حيث كان العذاب يطال الضعفاء من المسلمين ممن لم يجدوا من يدافع عنهم ويبعد عنهم كيد المشركين وجورهم، حيث وثبت كلُّ قبيلةٍ على من فيها من مستضعفي المسلمين من الرجال والنساء والشيوخ والشباب، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب تارة، والجوع وتركهم في رمضاء مكة وكيهم بالنار تارة أخرى، ليفتنوهم عن دينهم، فيما كان النبيّ صلى الله عليه وآله بعيداً عن التعذيب الجسدي بسبب الحماية الشديدة التي كان يبديها عمّاه أبو طالب وحمزة[1].

فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ما يصيب أصحابه من البلاء، وأنّه لا يقدر على أنْ يدفع عنهم ما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً ممّا أنتم فيه، فإنّ بها ملكاً لا يُظلمُ عنده أحدُ.

فخرجوا من مكة في شهر رجب، من السنة الخامسة لمبعثه الشريف صلى الله عليه وآله في غسق الليل خوفاً من طواغيت قريش وعيونهم. فكانت الدفعة الأولى من المهاجرين إلى الحبشة (أثيوبيا) تضمُّ خمسة عشر بين رجل وامرأة،[1] موزعين على أحد عشر رجلا وأربع نساء، منهم عثمان بن عفان وزوجته رقيّة بنت النبيّ صلى الله عليه وآله، وعثمان بن مظعون والزبير بن العوام، وقارئ القرآن مصعب بن عمير.

---

١. وهناك من قال إن عدد المهاجرين كان أربعة عشر شخصا.

وخرجوا إلى مدينة جدّة بطريقهم إلى الحبشة حتى انتهوا إلى ميناء (الشعيبة) على ساحل البحر الأحمر، وصادف أن وجدوا بعض السفن التي كانت في طريقها إلى الحبشة راسية في ميناء جدّة، فركبوا بها بأجرة لا تزيد عن نصف دينار لكلّ راكب، وخرجت قريش في طلبهم فلمْ تظفر بهم.

ولمّا نزلوا أرض الحبشة وكانت إقامتهم في الحبشة شهري شعبان ورمضان، وجدوا النجاشيَّ كما وصفه النبيّ صلى الله عليه وآله، فأكرم وفادتهم، فكانوا معززين مكرمين يعيشون في أمن وطمأنينة، ويمارسون عبادتهم وشعائر دينهم، ويعبدون ربّهم بحرّية، ولا يخشون أحداً، ولا يسمعون ما يكرهون، في ظل ملكٍ عادلٍ، يسير برعيته حيث يوجهه رشده وإنصافه.

وبينما هم في الحبشة يعبدون الله بعيداً عن أعين الكفار والمشركين، بلغهم أنّ قريشاً قد أسلمت، فعادوا في شهر شوال إلى ديارهم التي هاجروا منها، ولمّا قاربوا مكة المكرمة علموا أنَّ ما بلغهم من إسلام قريش خبرٌ كاذب، فدخل البعض منهم مستخفياً والبعض الآخر دخل تحت حماية رجال من قريش، وأقام المسلمون بمكة وهم في بلاء وعناء حيث اشتدّ عليهم قومهم وسَطَت بهم عشائرهم، ولقوا منهم أذى شديداً، فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وآله في الخروج والهجرة إلى الحبشة مرّة ثانية وكان مجموع من خرج في هذه الهجرة ثلاثة وثمانين مهاجراً.

وفد قريش لإرجاع المسلمين من الحبشة

فلمّا رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا بينهم أنْ يبعثوا فيهم رجلين من قريش جلدين إلى النجاشي، فيردّهم عليهم، ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارهم، التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها.

فبعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته، ثم بعثوهما محملين بتلك الهدايا. فلمّا قدما إلى أرض الحبشة، لم يبق بطريق من البطارقة إلا قدّما إليه بهديته وسألاه أن يكلّم النجاشي حتى يسلمهم إليهما قبل أن يكلم النجاشي المسلمين المهاجرين ويسمع منهم.

وبعدَ أنْ فرغا من بطارقته قدما إلى النجاشي هداياه ـ بعد أنْ خرّا إلى الأرض ساجدين بين يديه كما هي العادة المتبعة عندهم ـ فقبلها منهما.

ثم قالا له: أيها الملك! إنّ قومنا بعثونا إليك يشتكون إليك من فتيان منهم خرجوا إلى بلادك فارقوا أديان قومهم، ولم يدخلوا في دينك ولا دينهم وقومهم أعلاهم عيناً.

فقالت بطارقته تحت تاثير الهدايا: صدقا أيها الملك!

فغضب النجاشي وقال: والله لا أدفع إليهما قوماً جاءوني ولجأوا إلى بلادي حتى أنظر فيما يقولون، وأنظر فيما يقول هؤلاء، فإنْ كانوا صادقين وكانوا كما قال هؤلاء أسلمناهم إليهما، وإنْ كانوا على غير ذلك لم ندفعهم إليهما ونمنعها منهم.

الأسئلة

١. في أيِّ سنة كانت الهجرة الأولى إلى الحبشة؟ وكم كان عدد المهاجرين؟

٢. لماذا اختار النبيّ صلى الله عليه وآله الحبشة دار هجرة للمسلمين؟

٣. كم هي المدّة التي بقي فيها المهاجرون الأوائل في الحبشة؟ ولماذا عادوا إلى مكّة المكرمة؟

٤. كم هو عدد المهاجرين في الهجرة الثانية؟ وماذا عمل المشركون لإعادتهم إلى مكّة؟

٥. ماذا طلب ممثلو قريش من النجاشي؟ وبماذا ردّ النجاشي عليهم؟

٢٥

الهجرة إلى الحبشة (القسم الثاني)

وبعد أنْ استمع النجاشي والبطارقة إلى كلام مبعوثي قريش قرر الاستماع في اليوم الثاني إلى ما يقوله المهاجرون من المسلمين، فاخبر رجالُ القصرِ المسلمينَ بوجوب الحضور بين يدي الملك ليسمع منهم وليرى رأيه فيهم.

فاجتمع المهاجرين لدراسة الأمر وتداول القضية بينهم وماذا يقولون للملك؟ ومن الذي يمثلهم في الحديث إذا وقفوا بين يديه؟

فقالوا: نكلمهم والله بالذي نحن عليه وعليه نبيّنا ولم نضمر منه شيئاً! كائنا ما كان فيه، وأن يكون ممثل المهاجرين والمتحدّث نيابة عنهم جعفر بن أبي طالب (ابن عمِّ النبيّ).

وحينما حان وقت الاجتماع دخلوا على النجاشي يعلوهم الوقار وتغمرهم السكينة، ويتقدمهم جعفر، ولمّا دخلوا لم يسجدوا بين يدي الملك كما هي العادة الجارية.

فقال لهم بعض حاشية الملك: اسجدوا للملك!

فردّ عليه جعفر بن أبي طالب: لا نسجد إلا لله!

فقال لهم الملك: ما يقول ممثلا قريش؟ إنّهما يزعمان أنّهكم فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في ديني، وأنكم جئتم بدين لا يعرفه أحدٌ من قبلكم!

فقال جعفر بن أبي طالب عليه السلام: كنّا ـ أيّها الملك ـ مع قومنا في أمر جاهلية، نعبدُ الأوثان، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيءُ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، رجلا نعرف نَسَبَه وصدقه ووفاءه وعفافه، فدعانا إلى أنْ نعبدَ اللهَ وحده لا نشرك به، وأمرنا بالصلاة والزكاة، وصلة الرحم، وحسن

الجوار، ونهانا عن الفواحش والخبائث وقول الزور.... فصدقناه وآمنا به، وعرفنا أن ما جاء به هو الحق من عند الله، فعبدنا الله وحده لا شريك له، وحرمنا ما حرم الله علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، ففارقنا عند ذلك قومنا، فآذونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأنْ نستحلَّ ما كنا نستحل من الخبائث، فلمّا قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا، وبلغنا ما نكره ولم نقدر على الامتناع، أمرنا نبيُّنا صلى الله عليه وآله أنْ نخرجَ إلى بلادك اختياراً لك على مَنْ سواك، ورَغَبَنا في جوارك ورجونا أنْ لا نظلم عندك أيّها الملك.

فقال النجاشي: هل معك شيء مما جاء به نبيّكم؟

قال جعفر: نعم. فدعا النجاشي أساقفته فنشروا المصاحف حوله فقرأ عليهم جعفر بن أبي طالب شيئاً من سورة مريم ﴿كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيا...﴾ فبكى النجاشي حتى ابتلّت لحيته وبكت أساقفته حتى أبتلت مصاحفهم، ثم قال النجاشي: إنّ ما جاء دينكم، والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة.

ثم التفت إلى وفد قريش قائلا: انطلقا! والله لا أرسلهم معكما.

ثم خاطب المهاجرين قائلا: اذهبوا فأنتم آمنون في بلادي، من شتمكم غرم، وما أحبُّ أنَّ لي جبلاً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم.

ثم قال لرجال القصر: ردّوا على وفدِ قريش هداياهما التي جاءوا بها لا حاجة لنا بها، وأخرجوهما من أرضي فأخرجا، وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جار لا يصل إليهم شيء يكرهونه.

الأسئلة

١. كيف دخل المسلمون المهاجرون إلى قصر النجاشي؟

٢. من هو ممثل المسلمين في الحديث مع النجاشي؟ وماذا طلب النجاشي منه؟

٣. بماذا وصف جعفر بن أبي طالب المجتمع الجاهلي وسبب إسلام المهاجرين أوّلا، وسبب اختيارهم للحبشة ثانياً؟

٤. ما هي ردة فعل النجاشي حينما سمع الآيات القرآنية التي تلاها عليه جعفر بن أبي طالب؟

٥. بماذا ردّ النجاشي على وفد قريش؟

٢٦

حصار المسلمين في شعب أبي طالب عليه السلام

لمّا رأت قريش أنّ محاولتهم في إرجاع المسلمين من الحبشة قد باءت بالفشل، وأنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأنّ النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا في ناديهم وائتمروا أنْ يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب، وعلى أنْ لا يزوجوهم ولا يتزوجوا منهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، وأنْ يقاطعوهم اجتماعياً ولا يقتربوا من أحدٍ منهم أبداً.

فلمّا قرروا ذلك كتبوا بنود المقاطعة والحصار في صحيفة ابتدأوها بجملة (باسمك اللهم) ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم.

فلمّا فعلت قريش ذلك انحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه، واجتمعوا إليه جميعا إلا أبا لهب حيث بقي مع قريش لم يحاصره أحدٌ.

ثم إنَّ قريشاً دعوا حلفاءهم من كنانة ليشتركوا معهم في المقاطعة.

وكانت وثيقة المقاطعة كتبت في ليلة الأوّل من محرّم من السنة السابعة للهجرة، فلبث بنو هاشم ثلاث سنين، قطع المشركون خلالها عنهم كلّ مقومات الحياة، فكان المؤمنون يعتمدون على أموال كلٍّ من السيدة خديجة عليها السلام وأبي طالب عليه السلام، فلمّا نفدت تلك الأموال أخذ المؤمنون يأكلون الحشائش وورق الأشجار، وكانوا إذا قدمت القوافل التجارية إلى مكة يأتي أحدُهم السوقَ ليشتري شيئاً من الطعام لعياله فيقوم أبو لهب، فيقول: يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمّد حتى لا يدركوا معكم شيئا، فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي، فأنا ضامن أنْ لا خسار عليكم، فيزيد التجار في قيمة السلعة أضعافا، حتى يرجع الرجل إلى

أطفاله وهم يصرخون من الجوع وليس في يديه شيء يطعمهم به، ويغدو التجّار على أبي لهب، فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس.

واستمر الحصار حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعاً وعرياً، فبلغ الأمرُ أشدّه حيث كانت السيدة خديجة عليها السلام تأكل جلد شاه يابس تسدُّ به رمقها.

نقض صحيفة المقاطعة

استمرّت هذه المحنة بالمسلمين ما يقرب من ثلاث سنين، وأشتدّ عليهم الحصار ومنعت عنهم الأرزاق، فنزل ملك الوحي (جبرئيل) على رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بأنّ الله قد بعث على صحيفة المشركين القاطعة دابّة الأرض فأكلت جميع ما فيها من قطيعة وظلم وتركت جملة (باسمك اللّهم)، فأخبر رسولُ الله أبا طالب بذلك، قائلاً:

يا عمّ إنّ ربّي الله قد سلّط (الإرَضَة)[1] على صحيفة قريش فلم تدع فيها إلا اسم الله، وأكلت كلَّ ما فيها من الظلم والقطيعة والبهتان.

فاستبشر أبو طالب خيراً، وقال له: إذن لا يدخلُ عليك أحد.

ثم قام ولبس ثيابَهُ، ومشى حتى دخل المسجد على قريش وهم مجتمعون فيه، فلمّا دَنا أبو طالب منهم قامُوا إليه وعظّموه، وتباشروا وظنُّوا أنَّ الحصار والبلاء حمل أبا طالب على التخلّي عن موقفه.

فقالوا له: قد آن لك أنْ تسلّم إلينا ابن أخيك!!.

فقال أبو طالب: والله ما جئت لهذا، ولكنّ ابن أخي أخبرني ولم يكذّبني أنّ الله تعالى أخبرهُ أنّه بعث على صحيفتكُم القاطعة دابّة، فأكلت جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وتركت اسم الله، فهاتوا صحيفتكم، فإنْ كان ما قاله ابن أخي حقاً فاتقوا الله وارجعُوا عمّا أنتم عليه من الظلم والجور وقطيعة الرّحم.

وإن كان ما قاله باطلاً، دفعتُه إليكم، فإنْ شئتم قتلتمُوهُ، وإنْ شئتم استحييتموه.

---

١. الأرَضَة دويبة تسمّى العُثَّة أو السُّوسة.

فقالوا: رضينا، وتعاقدوا على ذلك.

ثم بعثوا إلى الصحيفة وأنزلوها من الكعبة، ثم فتحوها فإذا ليس فيها حرف واحد إلا (باسمك اللّهمّ)، كما اخبرهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله.

غير أنّ هذه المعجزة الباهرة والخبر الغيبي الذي يكشف عن اتصال النبيّ صلى الله عليه وآله بملك الوحي جبرئيل حقاً، لم يوجب هداية هؤلاء المشاكسين والمعاندين، بل زادهم شراً وعناداً، وقالوا لقد سحركم محمّد، إلا أن أبا طالب عليه السلام تمكن من استغلال فرصة تفرّق المشركين واختلاف كلمتهم فبذل قصارى جهده لإقناع القرشيين بتمزيق ما بقي من الصحيفة ورفع الحصار عنهم، فرفع الحصار عنهم في منتصف شهر رجب.

الأسئلة

١. لماذا قاطع المشركون بني هاشم؟ وفي أيِّ شهر وسنة كتبت صحيفة المقاطعة؟

٢. كيف كان يعيش المؤمنون في الشعب؟

٣. ما هو دور أبي لهب في تشديد الحصار على المؤمنين؟

٤. ما هو الخبر الذي جاء به جبرئيل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله حول صحيفة المقاطعة؟

٥. ماذا قال أبو طالب عليه السلام للمشركين؟ وما هو جواب المشركين له؟

٦. هل تأثر المشركون بالمعجزة التي أخبر بها النبيّ؟ وماذا قالوا عندما رأوا الأرضة قد أكلت الصحيفة إلا جملة باسمك اللهم؟.

٢٧

عام الحزن

في السنة العاشرة للبعثة وبالتحديد بعد ثلاثة أشهر من خروج النبيّ صلى الله عليه وآله وبني هاشم من شعب أبي طالب وعبورهم مرحلة المقاطعة الاجتماعية والاقتصادية، فوجئ النبيّ صلى الله عليه وآله بفقده نصيراً قوّياً وحاميا عزيزاً وسنداً وفياً، كان هو الحامي له، والمدافع عنه وعن دينه ورسالته، هو عمّه أبو طالب عليه السلام، وذلك بعد ٤٣ سنة من الدفاع والمساندة والحماية، مرّ شريط ذكرياتها على خاطر النبيّ صلى الله عليه وآله وهو يستعرض تلك السنين الجميلة التي قضاها برعاية عمّه منذ أوكل إليه الأمر من قبل جدّه عبد المطلب وهو في السنة السامنة من عمره، حيث قام عمّه أبو طالب عليه السلام بكفالته على أكمل وجه وأتمّ صورة، وحينها التفت النبيّ صلى الله عليه وآله وهو جالس إلى جنب عمّه الذي يعيش ساعته الأخيرة شاكراً له حمايته ودعمه ورعايته له طيلة تلك العقود قائلا: يا عمّ ربيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عنّي خيراً. فتهلل وجه أبي طالب فرحاً عند سماع كلمات ابن أخيه، ثم فاضت روحه الطاهرة.

وبموته فقد رسول الله صلى الله عليه وآله أقوى محامٍ له على تبليغ دينه، وأعظم شخصية عاصرت البعثة الإسلامية في مكة، واقوى مضحّ في سبيل الإسلام في عصره الأوّل، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما زالت قريش كاعين (منهزمين) عنّي حتى مات أبو طالب.

وبعد موته عليه السلام وتجهيزه دفنه رسول الله في منطقة الحجون بالقرب من قبر جدّه عبد المطلب داعياً ربّه أنْ يفيض عليه من رحمته وأنْ يدخله الجنة.

وتبع ذلك الحدثَ، حدثٌ آخر لا يقلُّ ألماً من موت أبي طالب، حيث توفيت زوجته السيدة خديجة عليها السلام، تلك المرأة الوفية وأوّل النساء إسلاماً، وذلك بعد وفاة أبي طالب بثلاثة

أيام وهي تسبّح الله وتحمده وتشكره على ما أنعم. فدفنها النبيّ صلى الله عليه وآله إلى جنب قبر جدّه عبد المطلب وعمّه أبي طالب ووقف بين القبرين داعياً الله لهما.

وقد حزن رسول الله صلى الله عليه وآله لفقدهما حزناً عميقاً عرفاناً بجليل خدماتهما الكبيرة وتضحياتهما الرشيدة للإسلام، قائلاً: اجتمعت على هذه الأمّة مصيبتان، لا أدري بأيّهما أنا أشدُّ جزعاً. ثم أطلق على ذلك العام اسم عام الحزن.

فلمّا مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً، وألقى عليه سفيه آخر بقايا كرش شاة.

فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيته وبقي فيه ولم يخرج منها إلا قليلا.

خروج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الطائف

لمّا مات أبو طالب ونالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم تكن تنال منه في حياته خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجاء أنْ يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى.

فلمّا انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، وهم يومئذ سادتهم وأشرافهم، وهم أخوة ثلاثة فجلس إليهم، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه. فرفضوا الإيمان برسالته، فقام صلى الله عليه وآله من عندهم وقد يئس من خير ثقيف. وقال لهم صلى الله عليه وآله: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليَّ سفري إليكم. ولكنّهم لم يحترموا العهد وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس صَفيّن يضربونه بالحجارة حتى أدموا رجليه.

فخرج صلى الله عليه وآله من الطائف وهو يعاني من سوء معاملة أهلها، وقد أرهقه المسير والمطاردة والأذى، وأدميت قدماه حتى وصل بستاناً لعُتبة وشيبة ابني ربيعة فاحتمى به، فرجع السُّفهاء عنه وجلس إلى ظل شجرة عنب ـ وابنا ربيعة ينظران إليه وإلى ما هو فيه من شدّة الكرب ـ فلمّا اطمأن رفع رأسه إلى السماء متضرّعا إلى الله تعالى، قائلاً: «اللهم إليك أشكو

ضعف قوتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت ربُّ المستضعفين، وأنت ربّي إلى مَنْ تَكِلُنِي إلى بعيدٍ يَتَجَهَّمُنِي أمْ إلى عدوّ ملكته أمري. إنْ لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل عليَّ سخطك لك العتبى حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلاَّ بك».

فأثار هذا المنظر المحزن والموقف الغريب شفقة وتعاطف صاحبي البستان فدعوا غلاماً لهما اسمه (عَدّاس) فقالا له: خذ قطفاً (عنقوداً) من العنب فضَعْه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى هذا الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عَدّاسُ، ثم أقبل بالعنب حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال له: كُلْ.

فلمّا تناول رسول الله ﷺ منه قال: بسم الله الرحمن الرحيم.

فاستغرب عداس من ذلك بشدّة، وقال: والله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهلُ هذه البلاد!.

فقال له رسول الله ﷺ: ومِنْ أهل أيّ البلاد أنتَ وما هو دينك؟

قال: أنا نصراني، من أهل نينوى.

قال ﷺ: من مدينة الرجل الصالح يونس بن متّى.

فقال له عدّاس: وما يدريك من هو يونس بن متّى؟

فقال ﷺ: ذاك أخي كان نبيّاً وأنا نبيّ، أنا رسول الله، والله تعالى أخبرني خبريونس بن متى.

فأكبَّ عداس على رسول الله ﷺ وقد رأى في كلماته علائم الصدق وآيات الحق، وجعل يقبل رأسَه ويديه، وقدميه وآمن به، ثم عاد بعد الاستئذان منه ﷺ إلى صاحبيه في البستان.

ولما يئس ﷺ من خير ثقيف قرر أنْ يعود إلى مكة، ولكنّ عودته إلى مكة لم تكن لتخلو من مشاكل وصعاب، لأنه قد فقد نصيره وحاميه ومدافعه الأكبر والأوحد عمّه أبا طالب، وقد يمسك به المشركون ويسفكون دمه، فأرسل ﷺ إلى المطعم بن عدّي، وكان الرجل حليفاً لأبي طالب ومن أقرباء السيدة خديجة، فدخل مكة في حمايته ليتمكن من تبليغ رسالته.

الأسئلة

١. أيّ سنة سمّيت بعام الحزن؟ ولماذا؟

٢. أين دفن جسد أبي طالب وخديجة؟

٣. ماذا قال النبيّ ﷺ في لحظات حياة أبي طالب الأخيرة؟

٤. لماذا هاجر النبيّ ﷺ إلى الطائف؟

٥. كيف تعامل أهلُ الطائف مع النبيّ ﷺ؟

٦. ما هي الخطوة التي اتخذها النبيّ ﷺ لتبليغ رسالته في مكة بعد أنْ رجع من الطائف؟

٢٨

المدينة تبحث عن المصلح

كانت الحرب مستعرة بين قبيلتي الأوس والخزرج في المدينة المنورة، وقد استمرت تلك الحرب أكثر من مائة عام، أريقت خلالها الدماء وانتهكت الحرمات وسلبت الأموال، فكان الأوس والخزرج لا يغفلون عن سلاحهم بالليل ولا بالنهار، الأمر الذي اتعب الفريقين وشلَّ قدراتهم، فجعلهم يبحثون عن حلٍ لهذه المشكلة المستعصية بينهم.

ومن هنا غادر المدينة المنورة كلٌّ من أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس، وهما من الخزرج، عسى أنْ يجدا في المكيين من يساعدهم في معالجة تلك المشكلة.

فقدما مكة في أحد المواسم، وكانت قريش حينها قد حاصرت الهاشميين في شعب أبي طالب.

وفد الرجلان على عتبة بن ربيعة طالبين منه التحالف معهم ضدَّ قبيلة الأوس، فرفض عتبة ذلك، وقال: بَعُدت دارنُا عن دارِكم، ولنا شغل لا نتفرغ لشيء غيره!!

فسأله أسعد عن هذا الشغل الذي يمنعه من نصرتهم؟ فأخبره عتبة بخروج النبيّ ﷺ فيهم، وأنّه أفسد شبابهم، وفرق جماعتهم، ثم حذّرهم من الاتصال به، فإنّه ساحر يسحره بكلامه، ونصحهما بأنْ لا يسمعا ما يقوله محمّد. ولكنهما قررا التأكّد من الخبر وسماع ما يقوله النبيّ ﷺ وأنّه من البعيد عن الحكمة أنْ يرجعا إلى المدينة من دون أن يستعلما خبر النبي ﷺ ويعرفا الحقيقة.

وكان النبيّ ﷺ آنئذ يجلس في الحجر ـ أي حجر إسماعيل ـ مع طائفة من بني هاشم، وكانوا قد خرجوا من شعبهم ليشهدوا الموسم، فطاف أسعد بن زرارة حول البيت، فلمّا رأى

النبيّ صلى الله عليه وآله جالساً في الحجر يحيط به بنو هاشم والنور يشع من وجهه المبارك، اقترب منه صلى الله عليه وآله وحيّاه بتحيّة الجاهلية، قائلا: أنعم صباحاً.

فرفع رسول الله رأسه إليه، وبعد أن عرفه قال له: قد أبدَلَنا الله بها ما هو أحسن من هذه، تحيّة أهل الجنّة: السلام عليكم...

فقال أسعد: إنّ عهدك بهذا لقريب، إلى ما تدعو يا محمّد؟

قال صلى الله عليه وآله: أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّي رسول الله، وأدعوكم إلى أنْ ألاّ تُشرِكُوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً، ولا تقتلوا أولادَكم من إملاقٍ، ولا تَقربوا الفواحِشَ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ، ولا تقتلوا النفسَ الّتي حَرَّمَ الله إلا بالحقِّ، ولا تَقربوا مالَ اليتيم إلا بالّتي هي أحسنُ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، وإذا قُلتُم فاعدِلوا، وبِعَهدِ الله أَوفوا ذلِكُم وصّاكُم به ـ الله ـ لعلّكُم تَذَكَّرونَ.

إسلام الوفد

فلمّا سمع ذلك أسعد بن زرارة، وكان هو وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم: إنّ هذا أوان ظهور نبي يخرج بمكة ويهاجر إلى المدينة، فلمّا تذكر أسعد ذلك مدَّ يده على الفور نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وقال له: أشهد أن لا إله إلا الله. وأنك رسول الله، يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين إخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، أرجو أن يوصلها الله بك، ولا أجدُ أعزَّ منك، ومعي رجل من قومي فإنْ دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك، والله يا رسول الله لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، ويبشروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن يكون دارنا دار هجرتك عندنا، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقني إليك، والله ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا الله بأفضل مما أتيت له.

ثم أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود تبشرنا به، وتخبرنا بصفته، فهلم فأسلم، فأسلم ذكوان.

وبعد إسلامهما رجعا إلى المدينة المنورة ليؤسسا النواة الأولى فيها للمسلمين فبذلا جهودا كبيرة لجذب الكثير من أهلِ المدينة المنورة إلى الدين الجديد، مؤكدين على حاجة المدينة إلى مصلح عاقل يعالج ما فيها من أمراض ويحل ما تعيشه من عقد ومشاكل، فكانت ثمرة حركتهما تشكيل وفد من أثني عشر شخصا توجهوا بقيادة شيخ الخزرج أسعد بن زرارة إلى مكة المكرمة للالتقاء بالنبيّ صلى الله عليه وآله.

الأسئلة

١. ما هي المشكلة التي كان يعيشها الأوس والخزرج؟ وكم استمرت الحرب بينهما؟

٢. كيف سلم أسعد بن زرارة على النبيّ؟ وبماذا ردّ عليه النبيّ صلى الله عليه وآله؟

٣. ما هي الكلمات التي دعا بها النبيّ صلى الله عليه وآله أسعد بن زرارة؟

٤. ماذا كانت اليهود تقول للأوس والخزرج؟

٥. ماذا قال أسعد بن زرارة لصاحبه ذكوان؟

٦. كم عدد الوفد الذي جاء من المدينة إلى مكة وبقيادة مَنْ؟

٢٩

بيعة العقبة الأولى

في السنة الثانية عشرة من البعثة، وَفَدَ إلى مكة المكرمة اثنا عشر رجلاً، اثنان منهم من قبيلة الأوس، والباقون من الخزرج، فالتقوا مع الرسول ﷺ في العقبة، وبايعوه على بيعة النساء، أيْ البيعة التي لا تشتمل على حرب، وكانت بنود البيعة: أن لا يشركوا بالله شيئا، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتون ببهتان يفترونه من بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصونه في معروف، فإنْ وفوا فلهم الجنة، وإنْ غشّوا من ذلك شيئا فأمرهم إلى الله عزوجل، إنْ شاء عذب، وإنْ شاء غفر.

ولمّا تمّت البيعة طلبوا من النبيّ ﷺ أنْ يرسل معهم مَنْ يعلمهم أمور دينهم، فأرسل النبيّ ﷺ معهم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين.

من هو مصعب بن عمير؟

مصعب بن عمير من أحفاد هاشم، وكان من أجمل فتيان مكة، مفضلا عند أبويه، وما كان بمكة أحدٌ أحسن منه جمالاً ولا أرق حلّة ولا أنعم نعمة، فبلغه أن رسول الله ﷺ بعث يدعو إلى الإسلام، فأسلم وصدق به وكتم إسلامه خوفا من أمّه وقومه، فكان يختلف إلى رسول الله ﷺ، سرّاً، ولما علمت به أمّه وقومه أخذوه وحبسوه، فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا.

وكان قد تعلّم من القرآن كثيراً فأمره الرسول ﷺ بالذهاب إلى المدينة المنورة مع أسعد بن زرارة، فخرج معه.

وكان مصعب يخرج في كلّ يوم يطوف فيه على مجالس أهلِ المدينة يدعوهم إلى الإسلام وإلى شهادة لا إله الله وأنّ محمّداً رسول الله، فيستجيب له الشباب متأثرين بما يحمله من جميل الأخلاق ولطيف الكلام وحلاوة الحديث وحسن المعاملة.

وبينما كان مصعب يمارس ذات يوم دوره في نشر الدعوة الإسلامية، إذ قال له أسعد: إنّ خالي (سعد بن معاذ) من رؤوس قبيلة الأوس، وهو رجل عاقل شريف مطاع في بني عبد الأشهل، فانْ دخل في هذا الإسلام، تمَّ لنا أمرنا، فهلمَّ نذهب إليه.

فجاء مصعب مع أسعد إلى محلة (سعد بن معاذ) فقعد على بئر من آبارهم، واجتمع إليه قوم من شبابهم، فأخذ يقرأ عليهم القرآن.

فلمّا علم بذلك (سعد بن معاذ) قال لأُسيد بن حضير وكان من أشرافهم: بلغني أنّ أسعد بن زرارة قد جاء إلى محلتنا مع هذا القرشيّ يفسد شبابنا فائته وانهه عن ذلك، فإنْ لم ينته عن فعله فاجلبه بالقوّة.

فجاء أُسيد بن حضير مسرعاً شاهراً سيفه، فلمّا قرب أُسيد منهم قال لأسعد: يقول لك خالك: لا تأتينا في نادينا ولا تفسد شبابنا واحذر الأوس على نفسك وارجع إلى قبيلتك!!

فقال مصعب ـ الذي لم يكن أقلَّ شجاعة من أسيد ـ بلطف ومحبّة: هلْ تجلس يا أسيد فنعرض عليك أمراً، فانْ أحببته دخلت فيه، وإنْ كرهته تركناكم ورجعنا إلى المكان الذي جئنا منه؟

فجلس أسيد فقرأ عليه مصعب شيئا من القرآن بصوت شجي وتلاوة جميلة.

فقال أسيد: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الإسلام؟

قال مصعب: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين ونشهد الشهادتين ونصلي ركعتين.

فرمى أسيد بنفسه من على ظهر فرسه إلى الأرض ونزل مع ثيابه في البئر، ثم خرج وعصر ثوبه، وطلب من مصعب أن يعرض عليه الإسلام.

فعرض مصعب عليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله، فرددها أسيد، ثم صلّى ركعتين.

فرجع أسيد إلى (سعد بن معاذ)، فلمّا وقع نظر سعد بن معاذ على أسيد، قال: اقسم أنّ أُسيداً قد رجع إلينا بغير الوجه الذي ذهب به من عندنا.

ولمّا استقر المجلس بأسيد، قال له سعد: ما الخبر؟

قال: لقد عجزت عن إقناع الرجل بالعودة عمّا جاء به وانما قال ذلك عسى أنْ يذهب سعد بن معاذ بنفسه ليسمع من مصعب بن عمير القرآن ويهتدي كما اهتدى هو.

فقرر سعد بن معاذ أنْ يذهب إليهما بنفسه، فآتاهم، فقرأ عليه مصعب قوله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم) فلمّا سمعها بعث إلى منزله فأتي بثوبين طاهرين، واغتسل وشهد الشهادتين وصلى ركعتين. ثم قام وأخذ بيد مصعب وحوّله إليه.

ولما حان وقت العصر من ذلك اليوم وقف سعدٌ بين ديار قومه من بني عبد الاشهل، فصاح بهم: يا بني عبد الأشهل، كيف تعرفون أمري فيكم؟

قالوا: سيّدنا وأفضلنا رأياً، وأيمننا نفساً وأمراً.

فقال: فإنّ كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

فاسلموا كلّهم في يوم واحد.

الأسئلة

١. أين تمّت بيعة العقبة الأولى ومن هم الذين حضروها؟

٢. من هو مصعب بن عمير؟ وما هي المهمة التي بعث من أجلها إلى المدينة المنورة؟

٣. ما هي الخصوصية التي توفرت في مصعب فجعلت الشباب والرجال يؤمنون بالرسالة بسببه؟

٤. اذكر نموذجاً من المعاملة الحسنة لمصعب بن عمير التي أدت إلى إيمان أحد كبار المشركين في المدينة؟

٥. ماذا قال سعد بن معاذ لرجال ونساء قبيلته بعد إسلامه؟

٣٠

بيعة العقبة الثانية

في شهر ذي الحجة من العام الثاني عشر من البعثة، ذهب سبعون رجلا من أهل يثرب من الأوس والخزرج إلى الحج، ليبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، وكان الشوق يحدوهم إلى لقاء النبيّ ﷺ، فضرب لهم النبيّ ليلة الثاني عشر من ذي الحجّة موعداً للقاء في دار عبد المطلب الواقعة في منطقة منى قرب العقبة، على أن يتسلل المبايعون فرادى بعد أن يطمأنوا من أنّ باقي الحجيج قد غطّوا في نومهم في الخيام ولكي لا يشعربهم أحدٌ من جواسيس قريش.

ولمّا فرغ الوفد من الحج في اليوم الموعود ومضى على من الليل ثُلُثه، خرج المسلمون من رحالهم يتسلّلون تسلل القطا مستخفين بعد أن ناموا مع قومهم في رحالهم، لكي لا يحسّوا بخروجهم، حتى اجتمعوا في دار عبد المطلب عند العقبة، ولمّا استقرّ المجلس بالجميع جاء النبيّ ﷺ بمعية عمّيه العباس وحمزة وابن عمّه علي بن أبي طالب.

وكان أوّل متكلّم العباس بن عبد المطلب فقال واصفاً منزلة رسول الله ﷺ: يا أهلَ يثرب، إنّ محمّداً مِنّا حيث قد علمتم، وقد منعناهُ من قومنا، فهو في عزّ من قومه، ومنعة في بلده، وإنّه قد أبى إلا الإنحياز (الهجرة) إليكم، واللُحوق بكم، فانْ كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممّن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإنْ كنتم ترون أنكم مُسلِمُوهُ وخاذِلُوهُ بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوهُ فانّه في عِزّ ومنعةٍ من قومه وبلده.

فقال الحضور: قد سمعنا ما قلت فتكلّم يا رسول الله، فَخُذ لنفسك ولربّك ما أحببت.

فتكلمَ رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغّب في الإسلام، ثم قال: أُبايعُكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءَكم وأبناءَكم.

فقام البراء بن معرور وأخذ بيد النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: نعم والذي بعثك بالحق نبياً لنمنع عنك كل سوء وندافع عنك كما ندافع عن نسائنا وشرفنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة (أي السلاح) ورثناها كابراً عن كابر.

فدبَّ في الحضور حماس وسرور عظيم وتعالت الأصوات والنداءات من المبايعين والتي كانت تعبيراً عن شدّة حماسهم، وسرورهم لهذا الأمر.

وفي أثناء الحوار بين رسول الله صلى الله عليه وآله والأنصار وقبل أن يأخذ البيعة منهم تكلّم رجل من الوفد، قائلا:

هل تدرون على أيِّ شيء تبايعون هذا الرجل؟

قالوا: نعم.

قال: إنّكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فلا تبايعوه؛ لأنه والله إن تراجعتم عنه وخذلتموه أصابكم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نَهْكة الأموال، وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإنّا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف.

ثم التفتوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله قائلين: فمالنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك؟

قال: الجنة.

قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه.

ولمّا تمّت البيعة قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أخرجُوا إليّ منكم إثني عشر نقيباً (رئيساً) ليكونوا على قومهم بما فيهم. فأخرَجوا منهم اثني عشر نقيباً، فقال صلى الله عليه وآله لأولئك النقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كُفلاء، وأنا كفيل على قومي (يعني المسلمين) فأُبايعُكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم.

فقالوا: نعم وبايعوه على ذلك.

الدفاع الباسل

كانت هذه البيعة صدمة عنيفة للمشركين وصاعقة نزلت على رؤوسهم، فأخذوا

سلاحهم وتوجهوا صوب مكان الاجتماع لضرب النبيّ ﷺ والأنصار الذين بايعوه.

ولمّا سمع الرسول ﷺ بصوت الخيول والسلاح تقترب منهم قال النبيّ ﷺ للمبايعين: تفرقوا واذهبوا إلى رحالكم.

فقالوا له: والله الذي بعثك بالحقِّ إن شئت ضربنا المشركين بسيوفنا.

فقال النبيّ ﷺ: إنّ الله تعالى لم يأمرني بقتالهم، ولكن ارجعوا إلى رِحَالِكم، فرجع القوم إلى خيامهم.

ولمّا اقترب المشركون خرج إليهم كل من حمزة وعلي بن أبي طالب، فلمّا رأى المشركون ذلك قالوا:

لماذا اجتمعتم هنا؟

فردّ عليهم حمزة قائلا: لم نجتمع، وأقسم بالله لا يقترب منكم أحدٌ منا إلا وسقيت سيفي بدمه!!

فلما سمع المشركون بذلك عادوا إلى مكانهم خائبين يجرون أذيال الهزيمة أمام هذا الموقف الشجاع.

وقد امتازت بيعة العقبة الثانية عن الأولى التي سمّيت ببيعة النساء، بفارق أساسي، حيث لم يشترط في البيعة الأولى الدفاع عن النبيّ ﷺ والرسالة بالمال والنفس خلافا للبيعة الثانية التي كانت من شروطها الأساسية الدفاع عن النبيّ والرسالة بالمال والنفوس مهما كلف الأمر.

الأسئلة

١. في أي سنة انعقدت بيعة العقبة الثانية؟ وفي أي مكان؟ ومع من عقدت البيعة؟،

٢. ما هي بنود البيعة؟ وبأي شيء تعهد المسلمون؟

٣. ماهو الفرق الاساسي بين بيعة العقبة الاولى والثانية؟

٤. ما جزاء الوفاء بالبيعة الذي ذكره النبي صلى الله عليه وآله؟

٥. ما هو كل من الامام علي عليه السلام وحمزة روضوان الله عليه في بيعة العقبة الثانية؟